Tawfīq ʻAzūz

al-Hadīyat al-Tawfīqīyah
fī-taʼrīkh al-ummat
al-Qubṭīyah.

BICQ
.A997h

B1CQ .A997h
INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES
43531 ★
McGILL
UNIVERSITY

ISLM DT 72 C7 A99 1893

كتاب

هدية توفيقية مؤلفة صديقنا

al-Hadiyat al-Tawfiqiyat

الهدية التوفيقية

في تاريخ

الامة القبطية

تأليف

Tawfiq 'Azuz

توفيق عزوز

صاحب جريدة الكمال وخوجه بمدرسة الاقتصاد

* * * *

الجزء الاول

(حقوق الطبع محفوظة للمولف)

ثمن النسخة ٦ ستة غروش صاغ

[طبع في مطبعة العصر التاسع عشر بمصر]

سنة ١٨٩٣

3338622

B1C Q
A 997h

اهداء الكتاب

لرب السياسة والكياسة ورجل الحزم والعزم صاحب الهمة المشهورة والحكمة المعروفة عطوفتلو افندم بطرس باشا غالي ناظر المالية الافخم

سيدي المفضال

جرت عادة جهابذة التأليف والتصنيف وخدام الاقلام رجال التحرير والتحبير ان يهدوا كتبهم ويقدموا مؤلفاتهم لمن يرون فيه الجدارة واللياقة - فمنهم من يهديها لمن كان عالما نحريرا · او جهباذا مفلقا خطيرا - تقرباً منه واعترافا بفضله ونبله · ومنهم من يقدمها لمن كان غنيا مثريا ولو لم يدرِ شيئا من العلوم والمعارف · ليستظل تحت ظل سعته ويساره الظليل الوارف ·

اما انا فقد آليت على نفسي ان لا احذو هذا الحذو · ولا انحو هذا النحو · على انني قد استصوبت

- ولا اخالني الا مصيباً - ان اقدم اليكم كتابي هذا بمثابة هدية قبطية ارجو ان تحظى من لدنكم بالقبول وتفوز بالاستحسان. وذلك لاني من ابناء طائفتكم الذين هم في يم فضلكم وكرمكم الخضم مغمورون غارقون وبانظار عنايتكم وحسن رعايتكم مشمولون ومرموقون.

وناهيك ما لكم على طائفتنا باسرها من الايادي البيضاء والمناقب الحسناء. التي هي اشهر من ان تذكر واكثر من ان تحصر

فيا حبذا لو تكرمتم عليّ بقبول تلك الهديه وغضيتم الطرف عن قصوري وتقصيري. اطال الله ايامكم ونفعنا بنفثات هممكم ونفحات معارفكم وعلومكم. انه السميع المجيب

بنده محسوبكم

توفيق عزوز

43531

مقدمة

تمهيد مفيد

لا مراء ولا مشاحة ان الوقوف على ما كانت عليه الامم الغابرة . ومقابلته على ما آلت اليه حالتها الحاضرة . امر ترتاح له الروح . وتصبو اليه النفس . بناء على ان الانسان يميل بطبعه الى ذلك كل الميل

وناهيك ما في ذلك من الفوائد الجمة . والمزايا المهمة . التي تجل عن الوصف والتعبير و يقصر دون سردها وتعدادها قلم الكاتب النحرير . بل لا يصل الى ادراك كنهها وماهيتها فكر كل جهبذ خطير خبير .

لان الاطلاع على تاريخ الامم السالفة قد يدعو الى تحسين العوائد وتدميث الاخلاق والسمي وراء احتواء الفضائل والتحلي بها . واجتواء المساوي والرذائل والتخلي عنها . وهذا هو سر تقدم الامم ومصدر ترقيتها . واصل حضارتها ورفاهيتها وسعادتها . ومنشأ مجدها وسؤددها وابهتها .

فالتاريخ مرآة يرى الانسان في داخلها اسباب التقدم والترقي فيهتدي الى معرفتها . و يقدم على مناولتها وممارستها . و يرمق ببصر بصيرته بواعث التاخر ودواعي الانحطاط والتقهقر حتى

يصبح على بصيرة منها . فيحجم عنها و يسعى في ملافاتها وتداركها بانجع الوسائل وانفع الوسائط و بهذه المثابة يكون واقفا على قبيله ودبيره وعارفا طريق الوصول الى معارج الفلاح ومدارج الارتقا والنجاح . وهذه هي افضل غاية . واجل بغية يجد في طلبها المجدون . و يتنافس في تحصيلها ونوالها المتنافسون .

ولا ريب ان تاريخ الامة القبطية لمن التواريخ الخليقة بالذكر والحقيقة بالنشر . نظرا لما وعاه وحواه من الحكم المنثورة والمواعظ المأثورة التي يفتقر اليها افراد الهيئة الاجتماعية كل الافتقار و يضطر العاقل الى معرفتها اجل الاضطرار لانه يمثل للمتأمل باجلى وضوح ما كانت عليه تلك الامة من سمو المكانة ورعاية الجانب . وما تحصلت عليه من العلوم والمعارف التي لم يجارها في مضمارها مجار . ولم يبارها في ميدانها مبار . وانها لم تصل الى ما وصلت . ولم تتحصل على ما تحصلت . الا بهمة وجهائها ونبلائها ورؤسائها . ايام كان هؤلاء الرؤساء لا يسمعون لغاريهم . بل يعرفون ما لهم وما عليهم . و يغارون على مصلحة امتهم و يشفق عليهم ان يروها في حالة يرثى اليها . عالمين ان العار والشنار انما هو منسوب اليهم اذا هم اهملوها ولم يعبأوا بامرها . و يكترثوا باصلاح شؤونها . وان الشرف والفخر انما هو عائد عليهم اذا سعوا في ترقيتها واصلاح حالتها . لانه ان لم يهتم صاحب الدار بما فيها فهيهات ان تقوم لها قائمة اذ لا ينتظر اصلاحها ممن لا ثقة لهم فيها ولا جمل ثم يشخص هذا التاريخ ايضاً امام

عيني الناظر ما آلت اليه حالتها من السقوط والهبوط الذي لم يكن يخطر بالبال . لولا ان دوام الحال من المحال . ومتى علم ذلك . وتحقق ما هنالك . يستفد عندئذ الفائدة المقصودة بالذات . الا وهي اصلاح ما اختل واعتل واحياء ما درس وما مات .

فاليكم اليكم ايها المصريون عموماً وخلف هذا السلف المبارك خصوصاً تاريخ ابائكم الاولين . واسلافكم السالفين حتى اذا علمتموه ووعيتموه فاحذوا حذوهم واختطوا خطتهم . واسعوا في رام الخلل وراب الصدع . فعساكم تعيدون شهرة اولئك القوم التي لعبت بها ايدي العدم .

واعلموا ان آثار اجدادكم وعظام ابائكم قد قامت اليوم تطالبكم بحقوقهم المقدسة المسلوبة وكاني بها تناديكم وتناجيكم قائلة :

الا رحم الله قوماً عرفوا ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات فقاموا باداثها خير قيام والا قاتل الله خلفاً هدم ما بناه السلف فكان كالباحث عن حتفه بظلفه . والجادع مارن انفه بكفه فهل يجمل بنا ان يطرق مسامعنا هذا النداء ونحن عن اجابته . وتلبية دعوته غافلون ساهون .

فهلموا بنا ايها الافاضل الاماثل نعير هذا النداء جانب الالتفات . وكفانا كفانا ما احدق بنا واحاق بطايفتنا من الافات والعاهات حتى يقال نعم الخلف الذي اقتفى اثر السلف

وذلك انما يكون باخلاص النيات . وحسم اسباب العداوات والخصومات . فاننا اذا اتحدنا قلباً وقالباً . واعتصمنا بعروة الالتئام والوئام وصرمنا حبال البغضاء والشحناء فزنا بنوال آمالنا وامانينا التي هي اصلاح هذه الطائفة حتى تصبح رافلة في حلل التقدم والارتقاء . ومختالة في ثياب الهناء والرخاء تحت ظل امير بلادنا . ومالك قلوبنا قبل رقابنا . الملك العادل الجليل . صاحب المجد الاثيل خديوينا الذي تعلقت باهداب كرمه وحلمه الامال والاماني ✻ افندينا عباس باشا حلمي الثاني ✻ ادام الله ايامه مقرونة بالعز والصفاء . ولا زلنا له عبيدا مخلصين في السراء والضراء . وحفظ لنا الوزراء الكرام . ورجال مصر العظام ما مرت الايام . وكرت الاعوام بمنه وكرمه امين

الفصل الاول

اصل الاقباط وسبب تسميتهم

انه لما كان الغرض من وضع هذا الكتاب الاتيان على ذكر تاريخ الاقباط من ابتداء نشأتهم الاولى الى انتهاء حالتهم الاخيرة وجب علينا والحالة هذه ان نتكلم اولا عن اصل نشأتهم وسبب تسميتهم ونسبتهم فنقول الاقباط هم من ذرية قفطايم بن مصرايم بن نوح

عليه السلام ويسمون اقباطاً بالنسبة الى قِفط وهي اسم لبلدة في الصعيد قيل انها اول مدينة تاسست بِ وادي النيل لما اتى مصرايم بن نوح وتوطن في مصر مع اولاده واولاد اولاده الذين منهم قفطايم هذا وهو الذي سميت هذا البلد باسمه

فقفط اذن هي اول بلدة وطأتها اقدام اجدادنا الاقباط فكانت منبت شعبتهم · ومسقط راسهم · ومحط رحال مجدهم

وقد اشتهرت قفط في ايام ملوك مصر الوطنيين بالقوة والمجد وازدادت ثروتها خصوصاً في ايام البطالسة اذ امتدت مواصلتها · واتسعت تجارتها مع بلاد العرب

ولما تغلب الروم على مصر وراوا ما كانت عليه مدينة قفط من الاهمية · وانها من اعظم امهات مدن الديار المصرية · سموا مصر باسرها (ايجبت

هذا ولقد علم بعد طول التنقيب والتنقير وزيادة الاستقراء والاستقصاء · ان لفظة (ايجبت) هذه مركبة

من كمتين يونانيتي الاصل احداهما (آي) بمعنى ارض او بلاد والثانية (جبت) بمعنى القبط فيكون مجموع معنى الكلمتين (ارض القبط او بلاد القبط) وهو الاسم الذي تناقل وتداول بين الاجانب عن هذه البلاد الى الان

فالاقباط اذاً هم سلالة المصريين القدماء الذين بلغوا الدرجة القصوى والشاو العظيم في العلوم والمعارف . واحرزوا قصب السبق في مضمار التالد منها والطارف . وارتضعوا أفاويق الحكم واللطائف . وتفيئوا تحت ظلها الظليل الوارف . كيف لا . وهم اول من فتحوا البلاد . ودوخوا العباد . وشيدوا المدارس . وانشأوا المجالس . ووضعوا الشرايع . ونبغوا في سائر الفنون والصنايع

وها هي آثارهم الباهرة ومآثرهم الفاخرة لم تزل ولا تزال بين ظهرانينا تعرب عن فضلهم ونبلهم . وتترجم عن سمو مداركهم وكمال تقدمهم . فسل الاهرامات الباذخة . والمسلات الرفيعة والهياكل الشامخة . والابنية

الشائقة الشاهقة تجدها كلها السنة ناطقة وافواه لافظة تفصح عن براعة اولئك القوم الاولين والاسلاف السالفين

ومن البديهي الذي لا يحتاج الى بيان او اقامة دليل و برهان انه لا يتسنى لمن لم يكن متضلعاً من العلوم والمعارف وواقفاً على كنه اسرارها ان ياتي بمثل هذه الآثار والمآثر الخطيرة الباهرة التي تبهر البصر وتخلب اللب . وناخذ بمجامع القلب

الفصل الثاني

علوم قدماء الاقباط ومعارفهم

لقد برع قدماء الاقباط خصوصا في علوم الفلسفة الكيماوية والعقلية وعلم الهيئه والنجوم وعمل الصيني والزجاج وفن النقش والتصوير والبناء واجادة التخنيط وبلغوا ايضاً الدرجة القصوى في الهندسة وقد اتقنوا علم انطب اتقانا عجيبا غريبا وذلك لان كل طبيب كان

يتفرغ لفرع واحد من فروع العلوم الطبية فيتقنه ويتفنن فيه كل التفنن ولذا كثرت لديهم الاطباء المتفننون المتقنون لسائر فروع الطب وخصوصاً ما كان متعلقا منها بامراض العيون لكثرة انتشارها وتفشيها في بلادهم المصرية الى غير ذلك من الفنون المتنوعة التي يشق على ابناء هذا العصر الاتيان بمثلها ولا سيما فن البناء والنقش على الاحجار والتحنيط تلك الفنون التي حارت في ادراك كنهها وماهيتها عقول فحول العلماء المتاخرين لذا لا عجب اذا علمت ايها القارئ النبيل ان جميع العلماء الاعلام ومشاهير الرجال العظام كانوا يهرعون ويتقاطرون افواجاً افواجا من كل فج عميق الى بلاد القبط ليرتشفوا من مناهل علوم اولئك القوم الذين فاقوا سائر الامم المعاصرة والمجاورة لهم والمكتنفة ببلادهم كما دلت على ذلك صحف التاريخ ونطقت اثار الاخبار

الفصل الثالث

عوايد الاقباط القديمة المشهورة

لا ريب ان الامة المتمدنة المتقدمة انما يطلق عليها هذا الاسم اذا هي كانت على جانب عظيم من دماثة الاخلاق وطهارة الاعراق وكريم الشيم وجميل الشمائل وذلك كله لا يظهر جليا الا في العادات التي خصت بها كل امة على حدتها دون غيرها.

ولنورد هنا ما اتصل بنا من عوائد اجدادنا الاقباط المشهورة فنقول:

لقد كان لقدماء الاقباط عوايد كثيرة شهيرة صادرة عن الحكمة والسداد نخص منها بالذكر ما اشتهر بين الورى وعرف لدى العام والخاص والدان والقاص كعدم اتاحتهم لموتاهم بالدفن الا اذا احسنوا عملا ولم يقضوا سني حياتهم هملا. وكان هذا الحكم الصارم يسري على الرفيع والوضيع والخطير والحقير والغني والصعلوك والمالك والمملوك على حد سوى. وذلك مما يدل على

ميلهم للحق والانصاف وعدم جنوحهم الى الاجحاف والاعتساف ومعاملتهم لجميع الناس بالعدل والقسطاس ومن عاداتهم ايضا انه لا يسوغ للابن ان يمتهن غير مهنة ابيه وجده لكي يتقنها و يحسنها سعيه وجده. ومنها حكمهم على مجترى الجرايم ومجترحي الجنح بقطع اعضائهم التي مكنتهم من اتيان هذه المنكرات . وارتكاب تلك الجنايات فالسارق كان يقطع يمينه والكذوب المزور المخلق الاحن والمحن يقطع لسانه وهلم جرا

وهذه العادة وان لم توافق مشرب اهل هذا العصر وتطابق مقتضيات التمدن الحالي على انها لا تخلو على كل حال من الحكمة والسداد كما قدمنا .

وكانت العادة الجارية عند الملوك ان يكافئوا من نبغوا في صناعتهم او برعوا في مهنتهم من اهل رعيتهم لكي يستفزوا غيرتهم ويحركوا نخوتهم للاهتمام باتقان اعمالهم وتحسين اشغالهم وهذه هي الخطة التى يختطها الاورباويون الان ويستعملها الغربيون في غالب الاحيان

نقلا عن اجدادنا واسلافنا الذين سبقوهم اليها فكان لهم الفضل المتقدم

ومن عوايدهم ايضاً احترام شبانهم لشيوخهم الاحترام الزائد

ومن عوائدهم التى كانوا بها يحافظون على جنسيتهم واصولهم انهم كانوا يتجنبون الاجانب تجنباً شديدا ويمتهنون كل من لم يكن من مواطنيهم فلا يجالسونه ولا يتناولون معه طعاما البتة . ولعلنا نجد هذه العادة جارية في بعض الممالك الغربية العظمى للان

وكانت احكامهم لا تصدر الا من مجالس مؤلفة من ثلاثين قاضٍ لهم رئيس يراسهم هو بمثابة رئيس المحكمة عندنا حتى يباشروا الاعمال على غاية ما يرام من تمام الاحكام والانتظام

اما العلوم والمعارف فكانت قاصرة على الكهنة دون غيرهم ولذا كانوا في ذلك الوقت اصحاب الشان الرفيع بل اهل السلطة والسيطرة على الجميع .

الفصل الرابع

ملابسهم وهيئتهم

كان قدماء الاقباط اقوياء اصحاء متصفون بطول القامة وضخامة الجسم كما أستدل على ذلك من آثارهم التى خلفوها بعدهم على حد قول القائل

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

اما ملابسهم فكانت عبارة عن ثياب من الكتان لها سجق وفوقها برانيس منسوجة من الصوف الابيض ولكن لم يكن يتاح لهم ان يأتزروا بتلك الملابس في مساجدهم ومعابدهم بل كانوا يقتصرون على الثياب البسيطة ليس الا وكذا لا يسوغ لهم ان يكفنوا بها موتاهم لان ديانتهم كانت تحرّم عليهم ذلك

ثم اخذت بعدئذ ملابسهم تتغير بتغير الدول الحاكمة عليهم اذ كانوا يقلدونهم في جميع حركاتهم وسكناتهم الى ان لبسوا اجزاء الجبه والقفطان ثم الشراول ثم [المنطلون ومتعلقاته] كما هو المشاهد الان وذلك

لاختلاطهم وامتزاجهم بالاجانب كما ستري

اما الاكليروس فيلبس (لآن) قفطانا من النوع المعروف بالغزلية مع طربوش عليه عمة تشبه عمة الكلدان وجبه سوداء طويلة الاكمام والراهب فيهم يمتاز عن القسيس العادي المتزوج بقطعة من الصوف الاسود بعرض اربع اصابع تتدلى من تحت الطربوش الى وراء العنق تعرف عندهم بالقلاسوة ويتميز الرهبان المقيمون باديرتهم بلبس الصوف غالبا بخلاف المترددين في المدن والبلاد فانهم يماثلون الاكليروس العلماني غير مميزين عنه في شيء الا بالقلاسوة ليس الا

اما رؤساء الكنائس والاساقفة والبطريرك فملبوسهم غالبًا من القفاطين الحريرية والفرجيات الجوخ ويلتحفون بشيلان من حرير على رووسهم واكتافهم والاساقفة يتميزون عن رؤساء الكنايس بشكل العمامة اذ يلبسون عمامة قائمة من طربوش وقماش حريري ملفوف على مقوّ مدور مرتبط ببعضه وبالطربوش بانعقاد محكم لا يمكن

حله الا بنقض العمامة من اصلها مشابه لعمائم مطارنة وبطاركة السريان بخلاف عمامة باقي الاكليروس التي هي مركبة من طربوش وشال حريري او صوف ملفوف عليه لفاً بسيطاً بدون ارتباط يمكن حله في اي وقت

الفصل الخامس

ديانتهم ولغتهم

اما من حيثية الدين فلا يسعنا الا ان نقول بان اجدادنا الاقباط قد امتطوا فيه صهوة الشطط · وركبوا غارب الخطا ومتن الضلال والغلط · اذ كانوا يعبدون التماثيل والاصنام الحجرية · دون مبدع الكائنات ورب البرية

على انه قد قبل ان الكهنة منهم كانوا يعرفون انه يوجد اله اوحد · منفرد بالقدرة والعظمة التي لا تدخل تحت عد او حد · وان هذه الاصنام والتماثيل ان هي الا رمزا يشير اليه · ويدل عليه · ويذكر الخلائق بقدرته

وحكمته التى لا يدرك كنهها من البشر احد . ولكن هولاء الكهنة قد جاؤا امرا ادّا . وحادوا عن جادة الصواب جدا . اذ لم يلقنوا هذه التعاليم لخاصة الشعب وعامتهم حتى يكونوا على بصيرة من كنه ديانتهم . بل عرفوها واخفوها . وفي زوايا قلوبهم ستروها ووارروها . فاشد اللوم والتثريب على الكهنة الذين حجبوا عن الشعب هذه الحقيقة اذ كان القوم كما نوهنا والمعنا منقادين لكهنتهم ومقلدين لحركاتهم وسكناتهم فلو كانوا علموهم هذه المبادي المعتدلة لاذعنوا لا قوالهم ورضخوا لاحكامهم فالكهنة المصريون ملومون اشد اللوم لاخفائهم الحقيقة عن الجمهور ضدا لسرائرهم وتعقلهم والشعب ملوم لتصديقه ما ينكره العقل و يشهد ببطلانه الحس

ولكن لم تلبث ان ظهرت الديانة المسيحية وانتشرت بين ابناء الامة القبطية في عهد حكم الدولة الرومانية عليهم لما اتاهم مار مرقس الرسول كارزا ومبشرا بكلام الله الحي . وناطقاً بروح الانجيل والوحي . فقبلوها وتدينوا

بها كما سياتى ذلك مفصلا

اما لغتهم فكانت اللغة الهيروغليفية القديمة التي لم تزل منقوشة على احجارهم الضخمة واثارهم الجمة المهمة كالموجودة الان في الجيزه وصقاره وغيرها من التي لم تكتشف بعد

وكانت هذه اللغة تكتب اولا بصور مستعارة من الاشياء الطبيعية و باصطلاحات دالة على الالفاظ المعنوية دلالة عقلية ظاهرة فكانوا اذا راموا التعبير عن مفتاح مثلا وضعوه بصورته المعهودة او الافصاح عن طير او غيره رسموه بشكله وهيئته وهكذا

ولكنهم توصلوا بعد ذلك الى كتابتها بحروف دالة على الاصوات

ولكن لسوء الطالع اخذت تلك اللغة تنحط رويدا رويدا حتى كادت تندرس وتطمس معالمها وذلك لان الملوك الاجانب الذين تولوا على مصر (وخصوصا العرب) كانوا يحجرون عليهم التكلم بها

اما هذه اللغة فانها استمرت اجيالا مستطيلة مجهولة للعموم وذلك نشا من تسلط الدول الاجنبية من يونانيين ورومانيون وعرب على بلاد القبط كما قلنا وتسلط لغاتهم على لغة البلد الاصلية واهمال اشكال كتابتها الخصوصية التي معرفتها هي الواسطة الامينة للنطق بها اهمالا كليا ومع ان الاقباط

القدماء لم يبخلوا على العالم في احراز اشكال كتاباتهم بل حفروها حفرا لا تمحوه الاجيال على هياكلهم واهرامهم وعمدهم ومسلاتهم ومقابرهم وغيرها من اثارهم الباقية الان شاهدة لعنايتهم فاذا اهملت معرفة تلك الاشكال بالكنيسة كان الناظرون الى صورها والمتاملون في حروفها لا يرون منها الا الغازا مبهمة واسرارا متعتمة اخبرا حان الزمان لاكتشاف هذا الكنز الادبي وذلك في عهد وجود الجيش الفرنساوى بمصرنا اذ قد عثر الضابط الفرنساوي المدعو بوسارد سنة ١٧٩٩ ميلادية موافقة سنة ١٥١٥ للشهدا قبطوة على حجر اسود في مدينة رشيد وعليه كتابة بثلاثة حروف مختلفة الاول الحرف الهيروغليفي الذي يرى غالبًا على الاطلال المصرية وهو الذي كان يستعملهُ الكهنة وامثالهم والثاني الحرف الديموتي او الديموطيكي وهو الخط المعتاد الذي كان يستعمله العوام والثالث لحسن الحظ باللغة اليونانية وقد اجتهد بعض الاوروبيين حينذاك في حل الخطين المصريين الاولين بواسطة الخط اليوناني ولم يهتدوا الى التمام اخيرا كان الفضل في ذلك لمهارة العالم الفرنساوي شمبوليون فانه استخرج من الحجر الرشيدي معرفة الهيروغليف المصري (وكلمة الهيروغليف لفظة يونانية مركبة من كلمتين · هيرو : اي مقدس و : غليف : اي حفر والمعنى الكتابات المقدسة) وذلك انه لما راى في الكتابة اليونانية اسم الملك بطليموس او بطوليس ووجد في الهيروغليفية كلمة مخصرة في

خط اهليلجي تحقق من مراجعة اسماء اخري منحصرة في اهليليجات اخرى منقوشة على احدى المسلات وعرف ان الحرف الاول حقيقة هو الباء والثاني التاء الخ ومن ذا اخذ يستدل على باقي الحروف والاشكال و بماانهُ كان عارفًا باللغة القبطية الجاري كتابتها بالاحرف اليونانية وقد حل اشكال الحرف الهيروغليفي على ما ذكرنا فمن قراءة الهيروغليفي عرف ان اللغة المصرية هي نفس اللغة القبطية الموجودة انما الاولى كانت بالخط المصري والثانية بالخط اليوناني ومع ان اللغة القبطية اتخذت الحرف اليوناني وذلك من جري تسلط اليونانيين على مصر الا ان الفاظها الاصلية هي نفس الالفاظ المصرية القديمة ولو ان كثيرا من الالفاظ اليونانية ادخلت فيها الان وكان لهذه اللغة ثلاثة اصطلاحات الاول الصعيدي وهو الذي كان مستعملا غالبا في الوجه القبلي واكثر الهيروجليفات المنقوشة محررة به والثاني البحيري وهو المستعمل الان لدى الاقباط والثالث البشموري نسبة الى البشمور وكان الاقباط الحافظين على الاصطلاحات الثلاثة في محرراتهم الادبية والدينية ومخاطباتهم الاهلية كما تدل الاثار الباقية للان الى ان تغلب الجهل وتسلط القسر واخذت معرفتهم في لغتهم تتنازل جيلا فجيلا حتى انتهى الامر الى اهمال استعمالها بينهم بالجملة

ثم بعد مضي امد مديد وعهد عهيد صارت هـذه اللغة القبطية لا تستعمل الا في الطقوس الكنائسية وفي ايام الحسن

الذكر البطريرك كيرلس الاكبر العاشر بعد المئة جعلها تعلم في المدارس التي انشاها في حياته

وبعد ان كان لا يوجد اكثر من اثنين او ثلاثة يعرفون هذه اللغة . صار يوجد الان عدد عديد من الذين يحسنون التكلم والكتابة بها . فكان احياء هذه اللغة الشريفة القديمة من ضمن مآثر غبطة هذا البطريرك الجمة واثاره المهمة التي خلدت له ذكرا حميدا في متون التواريخ و بطون المولفات يتضرع شذاه في الافاق . ويملأ الصحف والاوراق . لا تمحوه مرور الايام . وكرور الاعوام

ملوك الاقباط وحكامهم

الفصل الاول

ملوك قدماء الاقباط الوطنيون

لقد مر على الاقباط حين من الدهر ذاقوا في خلاله لذة الاستقلال وتمتعوا بمزايا الحرية الحقيقية وكان ذلك في ايام ملوكهم الوطنيين قبل استيلاء الدول الاجنبية عليهم . وقد انبأنا التاريخ بان ملوكهم الاوائل كانوا من مصاف الاحبار كما اسلفنا

على ان هذه السلطة لم تدم مخولة لهم بل انتزعها منهم احد الوطنيين الغيورين الا وهو الملك (مينا) الذي أسس

البلاد حكومة منتظمة ووضع لها قوانين عادلة

فالملك (مينا) هذا اول ملك انفرد بالسلطة والسيطرة بعد الكهنة وكان متصفاً بالهمة والحكمة وحسن السعي وحسبنا على ذلك دليلا ما اتاه من الاعمال الجلال اذ هو الذي بنى مدينة (منف) التي تدعى الآن (ميت رهينه) وحوّل النيل عن مجراه من جانب صحراء (لبية) وجعله في الوادي الذي يجري فيه الان بين الجبلين الى غير ذلك من الاصلاحات والتنظيمات التي مهدت لبلاده طريق التقدم والارتقاء . واوردت رعاياه موارد الهناء والرخاء

ثم أخلفه في الحكم اخوه (تثا) وكان عالماً نحريراً وجهبذا خطيرا له في الطب رسالة اتى فيها على ذكر اصل التشريح الصحيح وتلك الرسالة هي التي اتمها وكملها (استنس) صاحب اليراع المشهور والباع الطويل الراسخ القدم في اصول هذا العلم

وبعدئذ حكم الاقباط ٢٦ عائلة ملوكية وطنية اشهرها ما ياتي (بحسب الترتيب والتعقيب) اولا الملك (سميس) الذي فشا في عصره الوباء بالديار المصرية واهلك من الناس جمّاً غفيرا وعددا عديدا فعكفت الاهالي على ارتكاب الدنايا والمعاصي والفتن التي افضى بها الامر الى حصول هيجان عظيم لم ينتو الا بانتهاء مدة عائلته

(وبينوتريس) الذي سن قانوناً جديدا مؤداه انهُ يجوز للنساء الترشح لمنصب الملك عند عدم وجود الذكور او انقراضهم

قاصدا بذلك عدم خروج الملك من عائلته الملوكية وقد ادعى هذا الملك القرابة للالهة ولقب نفسه « بابن الشمس » فنسج على منواله من اتى بعده من خلفائه والزموا الرعيـة بعبادتهم واعتبارهم بمثابة الهة ذوي تصرف مطلق فاعلين مختارين

ومنهم (نخروفيس) الذي قمع سكان صحراء لبية الذين شقوا عصا الطاعة عليه فكبح جماح عصيانهم وجعلهم مذعنين صاغرين . ومن مآثر واثار عائلة هذا الملك « المعروفة » ابو الهول الموجود بين هرمي الجيزة والهيكل الموجود بالجهة القبلية من اهرام الجيزة

ومنهم (خوفو) وكان رجلا مقاتلا يصبو الى اقتحام الاهوال . وولوج معامع القتال . وتشييد البنايات . و بناء الاثار والعمارات . اذ هو الذي بنى الهرم الكبير الموجود بالجيزة ولا صحة لما ادعاه البعض من ان هذا الملك كان ظالما لرعيته

وكذا اخوه (خفـرم او خفرع) البـاني للهرم الثـاني « ومنكرا او منقريوس » الرافع للهرم الثالث الموجود خلف الهرمين السابقين وهذا الملك هو الذي وجدت جثته داخل هرمه فارادت دولة الانكليز نقلها الى دار تحفها فابى الله الا حرمانها من نوال هذه الغنيمة الباردة فاغرق السفينة به في ساحل « البرتوغال » ولم يتحصل على شيء منها سوى غطاء التابوت وهو لم يزل محفوظا في دار تحفها الى الان

ومنهم (ابايوس) الذي كان مغازيا ومقاتلا مثل الملك

(خوفو) ومنهم نيتوكريس ربة الجمال والجلال التي لقبها (ماتيثون) « بموردة الخدين » ولهذه الملكة نادرة تاريخية شهيرة غريبة اذ قد كان لها زوج يدعى « بنيوفيس » الثاني وهو ايضاً اخوها ففي السنة الثانية من حكمه قام عليه اعداؤه فقتلوه فانتقمت له زوجته او ان شئت قل اخته « نيتوكريس » واخذت له بثاره بطريقة عجيبة وكيفية غريبة وبيان ذلك انها اتت بهم الى مقاصير تحت الارض واعدت لهم فيها وليمة شائقة واحضرت اليها كمية وافرة من المطاعم والمشارب الانيقة فلما التهوا في لذات المأكولات والمشروبات امرت بان ينساب عليهم ماء النيل من سراديب معد لذلك من قبل فاغرقتهم جميعاً . ثم قتلت نفسها خوفاً من القصاص المزمع ان يلحقها وقد امتازت ايام هذه الملكة باتقان فن التصوير فترى ان صورهم كانت حائزة سائر المحاسن من اعتدال القامة واستدارة الوجه ورقة الانف الى غير ذلك . وقد يترتب على ذلك تقدم العلم ايضاً (لان الصناعة ان هي الا من ضمن نتائجه)

ومنهم الملك « امينامهات » او « اخنيب » الاول الذي سعى في استخراج الذهب من بلاد النوبة ثم « اوزريس » الاول صاحب المسلة المشهورة الموجودة الآن في المطرية « واموزيس » صاحب العمارات الجسيمة الموجودة بالفيوم والمشيد بحيرة قيرون المعروفة ببحيرة « موريس » وهو الذي بنى ايضاً القصر الجسيم المسمى « لابرينت » المحتوي على ثلاثة

الاف قاعة منها ١٥٠٠ في الدور الاول و ١٥٠٠ فوقها في الدور الثاني واخيرا الملك « تياوس » الذى اغارت في ايامه « الهكسوس » او الرعاة على البلاد القبطية

الفصل الثاني

حكم الرعاة على بلاد القبط

اما هولاء الرعاة « الهكسوس » وتسميهم العرب العمالقة ايضاً فهم قوم اتصفوا بسماجة الطباع وفظاظة الاخلاق اغاروا على بلاد القبط من نواحي اسيا الجنوبية واستولوا على الوجه البحري فجأة ثم تكاثر عددهم حتى صار كرمال القفار وقطرات الامطار فاخذوا يدمرون الهياكل والمدن و يفتكون بالاهالي فاضطر حين ذاك الملوك الوطنيون ان يلوؤا مع جماعة من رعيتهم الى الصعيد حيث حكموا هناك في مدينة (طيبة) فانقسمت حينئذ بلاد القبط الى قسمين عظيمين معاصرين لبعضهما.

الاول فرع اهلي اصلي وملوكه غير معلومة . وكان مركز حكمه بالوجه القبلي الذي قاعدته مدينة (طيبة) كما قدمنا

والثاني فرع متغلب اجنبي ومقره مدينة (منفيس) واول ملوكه الملك « سلاطيس » الذي افرغ قصارى جهده في ترتيب الحكومة وتنظيم لاحكام وتشييد الحصون الحصينة والقلاع المنيعة في النقط التي كان يخشى منها هجوم العرب والبدو

الذين هم على شاكلته او المصريين الحاكمين في الصعيد الذين كان يعتبرهم اعداء الداء له

ولا ريب ان هذا ادل دليل يدلنا على ان هولاء العالقة لما عاشروا الاقباط اقلعوا عن اخلاقهم الذميمة واعرضوا عن طباعهم الممقوتة واصبحوا عارفين بواجباتهم الملوكية التي لم يكونوا ليعرفوا لها اسمًا ولا رسما

ومن ضمن ملوك هولاء الرعاة ايضًا الملك خوفيس المشهور عند العرب بالريان ابن الوليد وهو الذي اتخذ (يوسف) له وزيرا لما فسر له الحلم والفاه بضروب الحكمة والتدبير خبيرا

اما ملوك القبط الاصليين القاطنين بالصعيد كما مرّ فكانوا ساهرين متيقظين آخذين كل الاحتياطات اللازمة للتوقي من غارات وهجمات اعدائهم الرعاة . ولطالما حاولوا مقاتلتهم وانتزاع البلاد من ايديهم واسترجاع سلطتهم اليهم الى ان اتاح الله لهم ذلك

اذ في ايام الملك (اوموزيس) اتحد جميع اقباط الصعيد قلبًا وقالبًا وهجموا دفعة واحدة على الرعاة فقيض الله لهم نصرا مبينًا ومكنهم من اعدائهم تمكينًا . ولكن لسوء الحظ ادركت الملك (اموزيس) المنية قبل نوال هذه الامنية فاقتفى اثره في هذه الخطة ابنه « اخميس » اذ استمر في محاصرتهم والتضييق عليهم حتي تمكن في اخر الامر من طردهم بالكلية من سائر تخوم البلاد القبطية بعد ان حكموا عليها نحو نصف جيل تقريبًا

من سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد الى سنة ١٠٠ قبله

الفصل الثالث

استرجاع ملوك القبط الوطنيين سلطتهم

وبهذه المثابة تسنى للاقباط استرجاع سلطتهم وانتزاع بلادهم من يد اعدائهم ثم طفقوا يعمرون ما دمرته ملوك العمالقة من الهياكل الدينية والعمارات المدنية واول الملوك الذين حكموا على بلاد القبط بعد طرد الرعاة « الملك اخميس » الذي قطع دابرهم عن اخرهم وانقذ البلاد من شرهم وجورهم ولقد اشتهر ملوك هذه الدولة الوطنية الثانية بالغزوات والفتوحات

فمنهم الملك (امحوتيب) الذي فتح بلاد (كوش) (والايتوبية) وجعلها لقبًا لولى عهده فكان يقال له (امير كوش)

ومن اشهر ملوك هذه الدولة الملك طوطوميس الاول ثم طوطوميس الثاني الذي تمكن من ادخال الولايات السودانية تحت حكمه . واهتم كسلفه ببناء العمارات وتاسيس المباني على انه قضى نحبه ولم يرزق ابنا يرث الملك من بعده فآل امر الحكم الى اخيه (طوطوميس) الثالث ولما كان هذا الاخير قاصرا اقاموا (اخته حاشاذو) وصية عليه ونائبة عنه فتزوجت به وشرعت في ادارة حركة المملكة بكل همة وشهامة

وبما انها كانت ولوعة بالفتوحات والغزوات شأن ابنائها

السالفين استولت على بلاد « سورية » وضربت عليها الجزية ومن آثار هذه المملكة المشهورة تشييد المسلتين الكائنتين « بالكرنك » التي لم تزل احداها قائمة الى الان تنادي بهمتها العجيبة وشهامتها الغريبة . وكان على راس كل من هاتين المسلتين تاج من ذهب هرمي الشكل ولقد نقشت هذه المملكة تاريخ غزواتها على جدران احد اثارها المدعو « بالدير البحري » ولما بلغ الملك طوطومس الثالث اشده وادرك رشده استولى على الاحكام فارتقت في ايامه بلاد القبط ارتقاء كليًا اذ فتح جزيرة قبرص وجزيرة كريد ومدينة نينوى ويقال انه ادخل تحت طاعته سواحل جنوب ايطاليا

ولهذا الملك اثار جمة نخص منها بالذكر مدينة « هليوبولس » اي المطرية ومنف وجزيرة اصوان ثم توفي بعد ان حكم نحو نحو ٤٥ سنة تقريبًا

ومنهم امنوفيس الثالث الذي كان مهابًا حسن السياسة في السلم والحرب وقد اشتدت المملكة في عهد ولايته الى داخل بلاد الحبشة . واغلب آثار هذا الملك موجودة بجزيرة اصوان وجبل السلسلة وبجهة طرة وجزيرة الطور

ومنهم الملك امنوفيس الرابع وكان هذا الملك ياخذ الجزية من الممالك الخاضعة لسلطته كجاري العادة . وقد تزوج بامراة اجنبية فادخلت في البلاد عبادة الشمس فحقد الاقباط عليه وشددوا النكير على فعله هذا ولما اتضح له ذلك خاف على نفسه

فنقل تخت المملكة من طيبة الى المدينة التي شيدها وسماها بمدينة المنيا وتعرف الان باسم تل العمارنه

وبعد موته نسخت عبادة الشمس التي ادخلها الى البلاد مرضاة لخاطر زوجته وهذا الملك هو صاحب الصورة المشهورة الموجودة بالاقصر

ومنهم الملك رمسيس الاول وهو الذي تجرأ على مقاتلة قبيلة الخيتاس فانتصر عليهم ثم خلفه ابنه منفطه اوسيطوس الذي كان رجلا غيورا على مصلحة الامة ومتصفاً بالحمة والحكمة وقد يستدل من الابنية التي شيدت في ايامه ان فن النقش والعمارة تقدم تقدماً تاماً ويقال انه هو الذي صنع المسلة التي نقلت الى رومية ومن المؤكد انه هو اول من حفر الخليج لتوصيل ماء النيل بالبحر الاحمر . وقد فتح ايضاً طريقا للقوافل من اسيا الى جبل اتوكي واوجد بها عيناً (اردوازية) صناعية لشرب المسافرين اذا اضناهم التعب وانهكهم الظما واعياهم النصب

ومن مناقبه ايضا غزو بلاد السودان والشام ونينوى وبابل واقصى بلاد ارمينية اذ يظهر ان بعض الممالك التي كانت تابعة في مبداء الامر لحكام مصر خرجت عن طاعتهم فاضطر الى تحاربتهم واخضاعهم ثم خلفه ابنه (رمسيس) الثاني المسمى عند اليونان (سيزوستريس) وقد كان هذا الملك اعظم جميع ملوك مصر قوة وشوكة ومن صفاته الخاصة به الملازمة لمحبه لرعيته حبا شديدا زايدا حتي لقد جعلهم اسراء

طاعته ورهبته اشارته فكان اذا مر بالازقة والشوارع ضجت الناس وهتفت بالدعاء له والتائيد لسلطانه كأنه المقصود بقول القايل

كمانك من كل النفوس مركب
فانت الي كل الانام حبيب

وقد نسب اليه اليونان افتتاح بلاد العجم وبلاد الهند والعرب وبعض ممالك اوربا وقالوا انه ضرب الخراج على عشرين امة واسترعاها وما يدل على حسن سياسته وكياسته انه كان كلما فتح مملكة اجنبية ابقى بها شرذمة ليست بقليلة من الاقباط الاصليين الوطنيين لينشروا في جميع انحائها وارجائها مباديهم القويمة واخلاقهم وعوائدهم المرضية

وبعد وفاته اعقبه في الملك الملك منفطة او منفتاح الثاني وفي ايامه دخل جماعة من اليونان والصقليين الى البلاد القبطية بقصد الاستيلاء عليها فلم يمكنهم من نوال بغيتهم بل صدهم بجيشه الجرار وردهم على اعقابهم خائبين وقد قيل ان خروج بني اسرائيل من مصر كان على عهد هذا البطل الهمام المقدام ولكن هذا الزعم لم يتاكد بعد

ومنهم ايضا (رمسيس الثالث) الذي اتى باعمال جديرة بالذكر وحرية بالاعتبار ولذا كان من اعظم ملوك الارض طرا شانا واسماهم مكانة اذ قامت في ايامه بلاد الحبشه والنوبة واغاروا على البلاد المصرية فهزمهم وصدهم وادخل ايضا

تحت سلطنه كسائر الملحقات المصرية واباد جميع اعدائه برا وبحرا وغادرهم في حيرتهم مرتبكين متعجبين من تلك الجسارة والشهامة التي تجاوزت الحد

ولكن ابى الدهر الا ان تسقط وتهبط بلاد القبط في ايام خلفائه الذين لم ينسجوا على منواله ولم يحسنوا التصرف ولا تدبروا في نتائج اعمالهم

وبيان ذلك انه في ايام رمسيس الثالث عشر اخر ملوك هذه الدولة الشهيرة تداخل رئيس كهنة الاله امون في امر الاحكام والسلطة الادارية التي انتزعها منهم الملك ميناس كما سلف آنفاً . ثم انضم الى هولاء الكهنة ايضاً حزب مؤلف من سذج الشعب وما زال الجدال على هذا المنوال بين حزب الكهنة وبين الحزب الملوكي حتى انتزع اخيرا رئيس الكهنة السلطة من الملك رمسيس المذكور

ولا ريب ان هذه الحادثة التاريخية القديمة تضارع كل المضارعة حادثتنا القبطية الاخيرة الشهيرة كما وانها تدل ايضاً على طموح كهنتنا الى السلطة العالمية وجنوحهم اليها وولوعهم بها منذ القدم

اما حكم هذه الدولة الكهنوتية الجديدة فقد استمر نحو ١٧٨ سنة وفي ذاك الزمن اخذ اليونان مدينة تروادة ولكن لم تات هذه الدولة بعمل يذكر فيشكر بل عاش ملوكها عيشة التواني والكسل وماتوا بدون ان يخلفوا بعدهم ادنى عمل ولذا

دعاهم المورخون بالملوك اهل الكسل وارباب البطالة وغاية ما علم من اثارهم انه كان يوجد لاولهم المدعو منداس حجر سربريا اصوان منقوش عليه كتابة بالقلم البربائي تحتوي على طلب الدعاء بحفظ الذات الملوكية اي منداس ولقد كانت هذه الدولة معاصرة للملك داود وابنه سليمان اللذين استوليا على اغلب الملحقات المصرية بدون ان يجدوا من يمانعهم او ينازعهم من الاقباط

ولما دام الحال على هذه الوتيرة مدة من الزمن شق هذا الامر على قدماء الاقباط اذ علموا انهم اذا استمروا على هذا التواني والتهاون ضاعت بلادهم وساءت حالهم فربما تضعضعت حالة هذه الدولة الكهنوتية المتقاعدة ظهرت عائلة من بسطه الكنانة بقرب الزقازيق وخلعت منها الحكم ثم استولت على جميع البلاد القبطية وجعلت مدينة بسطه المذكورة عاصمة بلادها ومركز ملوكها

واول ملوك هذه العائلة شيشاق الاول الذي غزى بلاد فلسطين واستولى على جميع قلاعها وسلب اموال قصورها الملوكية ثم اخلفه في الحكم ابنه سارحدون الاول المذكور في التوراة باسم زاراق الحبشي وهو الذي حارب مملكة يهوذا كسلفه على انه خذل وآب بصفقه المغبون والظاهر ان هذين الملكين كانا من من الاجانب الذين توطنوا او ان لهم قرابة او مصاهرة مع الاقباط الاصليين لان اسمائهم تحاكي اسماء ملوك العراق والاكراد. وليس لهم من العمارات والاثارات ما يستحق الذكر

وفي مدة هذه العائلة تجزأت بلاد القبط الى ولايات صغيرة كان يرأس كل ولاية منها رئيس من الليبيين ونظرا لاهمال ملوك هذه العائلة تداخل هولاء الروساء فيما لا يعنيهم وتجاوزوا حدودهم حتى اغتصبوا وظائف الحكومة فاختلت حركة البلاد واعتلت حالتها فزحف اليها في ذاك الزمن الايثيوبيون من جهة الجنوب والاشوريون من جهة الشمال فانحطت البلاد انحطاطاً كلياً وضعفت قوتها وخرج عن حكمها سائر ملحقاتها. ثم اعقب هذه العائلة عائلة اخرى كانت اسوأ منها حالا واكثر تهاملا وتكاسلا فازداد في عهدها تمزق وتفرق بلاد القبط وانقسمت الى عشرين ولاية كان يحكم على كل ولاية منها امير مخصوص وفضلا عن هذا وذاك فلم تكتف بلاد السودان عن الخروج عن طاعة ملوك القبط بعد ان كانت منقادة لهم بل شنت الغارة ايضاً على البلاد القبطية حتى وصلت الى اقليم منف واستمرت البلاد على هذا التجزء الى ان نهض احد العشرين اميرا المدعو تفتحوت وانتزع من شركائه الملك بموازرة الازتوج ثم اسس عائلة اخرى غير هذه العائلة اشهر ملوكها واحد فقط وهو الملك بوخوريس وكان شهماً هماماً غيوراً على مصلحة بلاده اذ اهتم بتنظيمها وترتيبتها وتهذيب اهليها مع المحافظة التامة على الروابط الاجنبية ولكن الامة القبطية القديمة امتهنته واتهمته بانه اهان الثور الذي كانت تعبده فاستعانت على نزعه من السلطة بالملك سباقون ملك النوبه الذي كان وقتئذ

قد شق عصا الطاعة عليه فاغار الملك سباقون هذا على بلاد الاقباط فساعدوه هم بانفسهم على الاستيلاء عليهم ولما وقع بوخوريس في قبضة هذا الجبار العنيد لم يشفق عليه بل القاه في النار حيا

الفصل الرابع

تملك الايتوبيين والاشوريين على بلاد القبط

ومن ثم صارت بلاد القبط تابعة للايتيوبيين واول ملوكهم الملك سباقون الذي المعنا عنه في الفصل السابق وقلنا انه استولى على مصر واحرق الملك بوخوريس ولكن لما صفا له الجو تغيرت طباعه وتحسنت احواله فانتقل من حالة القساوة والغباوة الى الرقة والشفقة فمال بكليته لتمدن الاقباط وتدين بدينهم واشتهر بحب الرعية وحسن التدبير ويقال انه اول من ابدل العقوبة بالقتل وجعلها بالاشغال الشاقة المؤبدة ولما زاع صيته بين الورى وشاع وملأ الاسماع استنجده ملك اسرائيل وملك الفنيقيين وملك فسلطين لكي يساعدهم على هزم ملك اشور الذي اشتهر بالقوة والبطش اذ كان يكدر ويعكر كياس راحة هذه الممالك الثلاث . فاجاب الملك سباقون دعوتهم ولبى اشارتهم وحشد جيشا عرمرميا ثم توجه لمحاربة شلمنسو ملك اشور ولكن الدهر عاكسه فهزم هو والمتحالفون معه وضل

مدة من الزمن الى ان اهتدى اخيرا الى الطريق الموصل لبلاده وكانت هذه الهزيمة الغير منتظرة سببًا في عصيان قاطني الوجه البحري عليه وانفصالهم عن حكمه واستقلالهم تحت حكم اسطفانيطس احد اقارب الملك بوخوريس الذي مات محروقًا كما قدمنا فانحاز سباقون الى الصعيد ثم مات واخلفه ابنه سواخوم الذي رام ان ينتقم لابيه من امراء الوجه البحري الذين شقوا عصا الطاعة عليه فتمكن من ذلك وحكم بلاد القبط فقام عليه اخوه طهراق وقتله وانتزع الحكم من يده وفي عهد طهراق اهذا اغار ملك اشور على بلاد القبط فاستولى على منفيس وطيبة ثم طفق يصلح ما اختل من نظامها واعتل . وارجع لامرائها العشرين امتيازهم وضرب عليهم الخراج

ولكنه ريثما عاد الى بلاده قام طهراق المذكور واستولى عليها ثانيًا فرجع ملك الاشورين وانتزعها منه وسلمها للعشرين رئيس ثم عاد الى وطنه وهو يظن ان طهراق لا يجسر على الحرب ثانيًا ولكن ساء ظنه فان طهراق عاد بعودته الى العصيان وهكذا اصبحت بلاد القبط غنيمة باردة تتناوبها وتلعب بها ايدي الاشورين والايثيوبين الى ان تركها طهراق اخيرا من تلقاء ذاته لرؤية راها في المنام وكذلك تركها الاشوريون لما علموان تملكهم عليها يكلفهم من التعب والنصب ما لا يطيقون فآل امر حكمها الى الملك تينخ ميمون اخر ملوك الاثيوبيين على حد قول بعض المورخين

الفصل الخامس

رجوع السلطة لملوك القبط الوطنيين

اما سكان مصر الاصليين اعني الاقباط الوطنيين فاعتراهم الملل والضجر من حكم ملوك الاجانب الشديد الوطئة فعقد امرائهم وعظمائهم النية على تخليص وطنهم من ايديهم فتمكنوا اخيرا من طردهم من الجهات البحرية ثم قسموا البلاد الى ١٢ قسما ترأس على كل قسم واحد من هولاء الامراء العظماء فسميت هذه الحكومة بالمقاسمة الاثنى عشرية ومن ثم اخذ احد هولاء الاثني عشر يجد ويجتهد في خلع السلطة من يد شركائه فتمكن اخيرا من ذلك بمساعدة بعض العساكر اليونانية بطريقة لا سبيل لذكرها هنا لعدم الوثوق من صحتها

ولما انفرد هذا الاخير المدعو بسامتيك بالحكم اهتم بتعمير ما دمره الاسيويين والاشوريين ثم طفق يحض القبط على اقتناء المعارف واسترجاع ما كان لهم من المجد السالف وقد حصن البلاد من كل جهة ثم فتح بلاد النوبة واستولى على فلسطين وفي ايامه دخلت الى البلاد جماعة من اليونان فوهبهم بعض الاراضي وسلمهم بعض شبان الاقباط ليعلموهم لغتهم اليونانية في المدارس التي انشاها وكذا فتح بلاد الشام ثم توفى بعد ان حكم نحو ٥٤ سنة فاخلفه ابنه نيخاوس الذي عنّ له ان يكتشف حدود افريقيا فارسل اليها جيشاً لاجل هذه الغاية فتمكن

من ذلك على انه لم يستفد شيئاً من هذا الاكتشاف و بعد وفاته حكم ابنه بساميتيك الثاني الذي غزى بلاد النوبة ومات على اثر رجوعة منها فحكم بعده ابنه ايرياس الذي شقت عليه جنوده عصا الطاعة اذ ارسلهم الى بلاد القيروان للاستيلاء عليها ولم يتسن لهم ذلك وسدت دونهم جميع المسالك فانتخبوا احد الرعايا المدعى امازيس وجعلوه ملكاً عليهم ثم حاربوا ملكهم الاصلي فانتصروا عليه وخنقوه

ولما صار امازيس هذا ملكاً احتقره الوطنيون بادىء بدء نظرا لدناءة حسبه ونسبه ولكنهم بعد ذلك رمقوه بعين الاعتبار والوقار لما اقنعهم بان الرجل انما يعتبر و يوقر باعماله لا بماله او جماله او حسبه او نسبه كما يتوهمون

وقد كان امازيس متصفاً بجودة القريحة وتوقد الذهن ومن مآثره المشهورة استيلاوه على جزيرة قبرص

وقد تزوج باحدى بنات الملك ابسامتيك الثانى ليوسس منها عائلة ملوكية جديدة فولدت له ابناً سماه بساميتيك الثالث الذي حكم على المملكة وكان آخر ملوك هذه العائلة

الفصل السادس

تملك العجم على بلاد القبط

وفي ايام ابساميتيك الثالث دخل مصر العجم على يد كمبيز

ملكهم الذي لما استتب له الحكم اراد ان يغزو ثلاث غزوات الاولى غزوة قرطاجة والثانية بلاد النوبة والثالثة صحراء لبية ولكن لم يحظي بوطره ولم يفز بنوال اربه على الاطلاق

وعند عودته الى مصر الفى كهنة الاقباط وامرائهم محتفلون بعيد معبودهم العجل ابيس فاستشاط غضباً واحتدم غيظاً وقيظاً اذ ظن انهم شامتون فيه وفرحون بخيبته وهزيمته فضرب العجل المذكور بخنجر كان بيده وقتل عددا عديدا من كهنتهم وامرائهم ثم مات غير ماسوف عليه

ومن ذاك الحين تولدت العداوة والبغضة في قلوب الوطنيين نحو العجم وخصوصا في ايام حكم الملك دارا الذي اخلف كمبيز في الحكم فانهم انتهزوا فرصة انهماكه باخماد فتنة العراق ورفعوا عليه راية العصيان فلم يتمكن من قمعهم ولكن لما تولى الملك شيرش خلفه عاقب ارباب هذه الفتنة واخضعهم ولكنهم لم يلبثوا ان قاموا ثانياً يطالبون باستقلالهم وما زالوا مثابرون على هذه الخطة الى ان تيسر لهم قتل الملك دارا الثانى النائب عن دولة العجم بمصر وطردوا عساكر الفرس من بلادهم و بهذه المثابة عادلهم استقلالهم

الفصل السابع

ملوك القبط الوطنيون بعد طرد العجم

وبعد ان تحصل القبط على استقلالهم وطردوا العجم من بلادهم قامت بالملك منهم عائلة جديدة تدعى بالصاوية نسبة الى صا الحجر على ان هذه العائلة لم تتعدد ملوكها بل كانت عبارة عن ملك واحد وهو الملك امرطيس الذي خاض عباب المصاعب وتجشم الاهوال في تخليص البلاد من سلطة الاعجام ومع ان مدة حكمه لم تكن الا سبع سنوات لكنه مع ذلك اصلح البلاد اصلاحاً لم يعهد لهُ مثيل

ثم ظهرت عائلة اخرى وطنية يقال لها الاشمونية نسبة الى اشمون ومن اشهر ملوكها الملك نفروطف الذي تحالف مع اليونان لمعاونته على الاعجام لعلمه انهم اعدا المصريين واليونانيين الالداء . وبعد موته اخلفه في الحكم الملك هورقور الذي اختط خطة سلفه ومكن العلائق والروابط الودية بين المصريين واليونانيين . فارسلت له دولة اليونان جيشاً جرارا تحت قيادة خابرياس الاثيني وقاية له وتخصيناً لبلاده . وفي عهده جاء العجم الى بلاد القبط بقصد الاستيلاء عليها دفعة ثانية ولما شاهدوها محصنة بالعساكر والعساكر ارتدوا راجعين على اعقابهم بخفي حنين وفي ايام حكم هذا الملك وفد ايضا الى البلاد القبطيه افلاطون الحكيم وغيره من حكما اليونان لتلقن الحكمة

والفلسفة من حكماء عين شمس ومنف وطيبة وبعد وفاة هذا الملك الجليل قام بالملك ثلاث ملوك اخرين من عائلته ولكن لم ياتوا عملا يذكر فيشكر او ينشر فيفتخر به

وبعد انقراض هذه العائلة وجدت عائلة اخرى وطنية ثالثة قامت باعباء الملك اول ملوكها الملك نقطانب الاول الذي في ايامه كانت العجم تتهدد البلاد القبطية من وقت الى اخر وتود ان تستولى عليها عند سنوح الفرصة فلما توقع الملك نقطانب منهم ذلك جند الجنود وحشد العساكر ففيض له الله النصر عليهم ثم قضى نحبه فاخلفه الملك طاخوس الذي عند علمه بان العجم تقصد الاستيلاء على البلاد القبطية جمع جيشاً جرارا واستنجد بدولة اليونان فبعثت اليه بجيش عظيم ايضاً تحت قيادة القائد اجزيلاس اليونانى الذي اقترح على الملك طاخوس ان لا يتوجه لمحاربة العجم الا اذا اتوا هم اولا لمحاربته فلم يذعن لمقترحاته ولم يرضخ لمشورته بل بادر اليهم بذاته فلما خرج عن حدود البلاد رفعت عليه العساكر راية العصيان فولى الادبار وركن الى الفرار وانحاز الى جيش الاعجام فتولى بعده نقطانب الثانى الذي عقد معاهدة مع اهل صيدا وصور للاتقاء من شر الاعجام فلما هجم على صور ارسل اليها الملك نقطانب فرقة عسكرية يونانية لنجدتها ومعاونتها فهزم جيش العجم فلما راى ملك الفرس ذلك اضطرمت في فواده نيران الغضب والغيظ فقاد الجيش بنفسه وهجم على جيوش

اليونانيين والمصريين دفعة واحدة فانتصر عليهم نصرا مبينا - تمكن من ابادتهم جميعاً فولوا من امامه هاربين وقفلوا راجعين وهم مذعورين صاغرين ثم اقتفى اثرهم حتى سلموا انفسهم باتفسهم وهم خاضعين خاشعين اما الملك نقطانب الذي هو اخر ملوك الاقباط الوطنيين فلم يسعه الا ان جمع خزائن اموالهِ وفر هارباً الى بلاد النوبة حيث قضى نحبه بها

الفصل الثامن

حكم العجم على بلاد القبط دفعة ثانية

ومن ثم صارت بلاد القبط تحت حكم العجم بعد ان لبثت نحو ستة وستون سنة مستقلة استقلالا كاملا وكان ملك العجم وقتئذ الملك داراخوش صاحب تلك النصرة المشهورة ولكن ابى الله الا ان يقصر مدة حكمهم عليها في هذه الدفعة اذ لم تستمر الا ثلاث سنوات ليس الا وبعدها انتهى حكمهم في سنة ٣٣٢ ق . م وهي السنة التي اتاها فيها البطل الهمام رب الشوكة والصولة الا وهو الملك اسكندر المقدونى الاكبر الملقب بذي القرنين كما سياتى وفي خلال هذه المدة الوجيزة التي حكم فيها العجم على البلاد القبطية لم يقم بالملك

منهم الا ثلاث ملوك فقط كان دابهم وديدنهم هدم العمارات المدنية والهياكل الدينية وتدمير الاثار الوطنية ولذا ترى انه في مدة حكمهم هذه القصيرة قد خربت اغلب الاثار القبطيـة وطمست معالمها حتى اصبحت وانت لا ترى فيها الا اطـلالا بالية لا منفعة لها ولا فائدة منها على وجه الاطلاق ولم يبقَ من الاثار المصرية على حاله القـديم الا ما شيد في ايام البطالسة وبالاجمال فان تملك العجم على القبط في هذه الدفعة الثانية عاد على البلاد والعباد بالوبال الوبيل

الفصل التاسع

حكم اليونان على بلاد القبط

وبعد مضي ثمان سنوات من حكم العجم على مصر يلاد القبط وافاها اسكندر الاكبر ذو القرنين فاستولى عليها كما قدمنا وجعلها تابعة لمملكة اليونان التي حكمت عليها نحو ٢٧ سنة اما الملك اسكندر الاكبر الموما اليه فكان شـهماً ابي النفس عادلا اذ اتاح للمصريين اي الاقباط قاطبة التدين بدين ابائهم واجدادهم ومتعهم بالحرية التامـة التي حرموا منها منذ امد مديد

واختط مدينة الاسكندرية فصارت مخزناً عاماً لتجارة الدنيا باسرها ولم تزل كذلك الى الان ولقد لقبها باسمه اي الاسكندرية

و بعد وفاته تقاسم قواده ممالكه فكانت مصر بلاد القبط من نصيب القائد بطليموس لاغوص الاول الذي نهج منهج الاسكندر في جميع اعماله ولما كان محباً للعلم والعلماء انشا مكتبة الاسكندرية الشهيرة ووسع نطاق البلاد القبطية اذ اضاف عليها بلاد العرب وقبرص . و بعد وفاته حكمها بطليموس الثاني الذي ترجم التوراة الى اللغة اليونانية ثم بطليموس الثالث فبطليموس الرابع فالخامس فالسادس فالسابع الى الثالث عشر وكانوا هولاء البطالسة جميعاً رجال حزم وعزم عارفون ما لهم من الحقوق عند رعيتهم وما عليهم من الواجبات نحوهم وفي ايامهم ارتقت بلاد القبط ارتقاء لا نظير له اذ بثو فيها روح العلوم والمعارف ونشطوها من عقال الاهمال فبلغت اوج المجد وذروة الكمال

واخر ملوك هذه الدولة الملكة كيلوباطره ربة الجمال الرائع وصاحبة الصيت الشائع وهي التي تزوجت باخيها و بعد ان قضت منه وطرها اسقته سما فمات شهيد خداعها وتداهنها ولما علمت ان دولة الرومان قد عزمت على محاصرة بلادها قتلت نفسها و تقرضت بموتها ملوك دولة اليونان

الفصل العاشر

حكم الرومان على بلاد القبط

وفي سنة ٣٠ قبل الميلاد استولى قيصر الرومان على بلاد القبط وصيرها ايالة رومانية ومن ثم صارت مملكة الرومان ترسل الى مصر حكاماً يحكمون على القبط بمثابه نواب عنها وفي عهد هذه الدولة اتى الى بلاد القبط الرسول المغبوط مار مرقس البشير منادياً بكلمة الله ومبشراً بانجيله الشريف وكتابه المنيف فلم يسمع لقوله باديء بدء الا النذر اليسير ولكن بعد ذلك تقوى الدين المسيحي وانتشر بين الاقباط انتشاراً كلياً حتى عم القطر باسره وملحقاته ولا سيما في القرنين الثاني والثالث من التاريخ المسيحي

واول نائب روماني انتدب من دولة الرومان للحكم على بلاد القبط هو الملك قودر يليوس غالوس الذي اصلح حالة مصر الزراعية لعلمه انها مصدر ثروة هذه البلاد

ومن اشهر ملوك هذه الدولة ايضاً الملك ادريان الذي شهد له بحسن السياسة والحكمة وهو الذي حسم الشقاق واوجد الوفاق بين الذين اختلفوا في مسالة العجل من حيثية محل رضاعته الاصلي وكانت مدة حكم هذا الملك كلها درر وغرر اذ كانت البلاد

رائعة في رياض الهناء والرخاء ومتمرغه على بساط الراحة والرفاهية والابهة ومنهم الملك دقليديانوس الذي كان رجلا جهولا اذ لم يحسن التدبير . بل قضى مدة حكمه في التخريب والتدمير . وقد تجشم في عهد حكمه الاقباط من الاهوال ما تشيب من هوله الاطفال

اضطهاد الاقباط

وبيان ذلك انهُ ظهر جندي يسمى اخيلاوس اغرى سكان البلاد على مجاهرة الامبراطور الروماني بالعصيان فانقادوا لرايهِ السخيف انقياد العميان غير عالمين ما وراء ذلك من الوبال والنكال فكانوا الباحثين عن حتفهم بظلفهم

لان الامبراطور ريثما بلغهُ ذلك حشد جيشاً جرارا واتى مدينة الاسكندرية حتى فتحها عنوة وقبض على اخيلاوس الباغي وسلمهُ للوحوش الضاريه فمزقته وافترسته ثم احرق المدينة وسبى النساء والرجال والاطفال فانتهز حينذاك اعداء الديانة المسيحية او بالحري الامة القبطية هذه الفرصة المناسبة للايقاع بهم والسعي في نكايتهم واهلاكهم وكان اشدهم عداوة لهم الملك مكسيمان شريك الامبراطور دقيليديانوس فطفق يوسوس له ان هذه الفتن والثورات ان هي الا نتيجة تمسك

الاقباط بالديانة المسيحية واعتصامهم بعروتها الوثقى وتركهم لديانة اجدادهم واسلافهم حتى لقد جعل الامبراطور المذكور يعتقد ان راحة المملكة متوقفة على محو آثار هذه الديانة المسيحية وقطع دابرها من على وجه البسيطة او على الاقل من البلاد المنتمية للمملكة الرومانية

ولما كان الامبراطور المنوه عنه مما اصروا على رفض الايمان المسيحي واثرو البقاء على دين ابائهم واجدادهم استصوب هذا الراي الذميم الوخيم ثم اصدر الاوامر الصارمة للولاة والحكام يحضهم فيها على طلب المومنين والزامهم بترك الديانة المسيحية والعود الى العبادة الوثنية الاصنامية ومن يخالف يجازى بالقتل بلا شفقة وامر بهدم الكنائس فهدمت وغصت السجون بالمسجونين وقتل من جرا ذلك خلق كثير لا يحصى ولا يستقصى ودام هذا الاضطهاد مستمرا مدة من الزمن كادت فيها ارواح الاقباط جميعاً ان تزهق ووصل الفتك الذريع والجور الفظيع الشنيع الى مدينة قفط التي كانت غاصة وقتئذ بالمهاجرين الذين هربوا اليها والتجاوا بها تخلصاً من هذا الاضطهاد المريع فامر الامبراطور بقتل من فيها واحرقها واحرق مدينة ليست باقل شهرة منها تدعى بوزيريس وقصارى القول ان عدد من قتلوا من الاقباط في هذا الاضطهاد لا يدخل تحت عد او حد ولذا ترى الاقباط يورخون له الى يومنا هذا فيقولون سنة كذا للشهداء اي المومنين الذين قتلوا شهادة للمسيح في عهد

الامبراطور دقليديانوس هذا الظلوم الغشوم

ولكن لم يدم الحال على هذا المنوال بل ابى الله الا ان ينقذ هذه الامة المنكودة الحظ وينقذها من غوائل واهوال هذا الاضطهاد فقيض لها ملوكاً رومانيين عادلين رثوا لحالتها وانقذوها من بلوتها اذ كان هولاء الملوك مسيحيون مومنون فعمت في ايامهم الديانة المسيحية وامتدت امتدادا تاماً

ولكن لم يمضِ على ذلك طويل زمن حتى حاقت ببلاد القبط مصائب اخرى اشد وطئة من الاولى وكان السبب في ذلك انقسام المسيحيين الى جملة اقسام واحزاب فنجم عن ذلك شقاق عظيم ادى الى تداخل الحكام وولاة الامور وكثر الفتك والبطش والقتل ونقى روساء الاديان

وكان القبط مما قاسوا شدائد كثيرة في هذه الظروف المدلهمة لانهم ابوا ان يوافقوا الحزب الذي كانت الملوك تنتصر له فقتل منهم عدد عديد وهاجر اكثرهم الى بلاد النوبة والسودان واستوطنوا فيها وعلموا سكانها الديانة المسيحية فقبلوها وتدينوا بها وما زالت نيران هذه الاضطهادات متاججة مستعرة مدة مديدة الى ان اتى العرب واستولوا على بلاد القبط واخذوها من الروم على يد عمرو بن العاص قائد جيوش عمر ابن الخطاب الثاني من الخلفاء الراشدين فارتفعت حينئذ هذه الاضطهادات عن الاقباط قاطبة

—✻✻✻✻✻✻✻—

الفصل الحادي عشر

حكم الدولة العربية الاسلامية على الامة القبطية

انه في سنة ١٨ هجرية خلا عمرو بن العاص بالخليفة عمر بن الخطاب وطفق يحضه ويحرضه ويحسن له الاستيلاء على بلاد القبط فصرح له الخليفة بذلك فحشد جيشاً جرارا وبعد أن حاصرها مدة طويلة على غير طائل فتحها اخيرا واستولى عليها وساعدته الاقباط على نوال هذه البغية بناء على ما كان موجودا بينهم من الانشقاقات والانقسامات والاختلافات الدينيه كما المعنا . ومن ثم صارت البلاد القبطية تابعة للخلافة العربية الاسلامية فحكمت عليها اولا الدولة الاموية ثم الدولة العباسية فالطولونيه فالاخشيديه فالفاطميه او العلويه فالايوبيه الى ان حكمتها اخيرا دولة المماليك البحرية التي طغت وبغت وعثت في الارض فسادا واوردت الامة موارد العناء والشقاء.

وفي سنة ١٥١٧ مسيحية افتتحها السلطان سليم العثماني وقبض على طومان باي ملكها وشنقه على احدى بواباتها وجعلها تابعة للدولة العثمانية بعد ان كانت تقاسي الم الهوان والبلاء من ظلم واستبداد هولاء المماليك البغاة الطغاة

ولما اخذ السلطان سليم بلاد القبط من يد هولاء المماليك العناة المتمردين عين لها والياً يحكمها ويدبر امورها ويدير حركتها وشوونها بموازرة ٢٤ من البيكاوات وكان هـذا الوالي يتغير سنوياً واستمرت كذلك الى ان اتاها نابوليون قائد الجيوش الفرنساوية واستولى عليها في سنة ١٧٩٨ مسيحية

ولم تكن بلاد القبط وقتئذ محتوية على عنصر واحد كما كانت اولا بل صارت عنصرين وطنيين وهما العنصر القبطي الاصلي الذي كان محكوماً والعنصر الاسـلامي العربي الذي كان حاكماً

ولكن الدولة العليـة استرجعتها ثانياً من يد نابوليون واعادتها الى سلطتها بمساعدة بعض جيوش الدولة البريطانية العظمى

الفصل الثاني عشر

حكم الدول المحمديه العلويه الفخيمة

وبعد ان خرج الجيش الفرنساوي من البلاد القبطية ارسلت الدولة العلية ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا

جد العائلة الخديوية الفخيمة بمثابة خديوي عليها ولم تزل عائلته الفخيمة صاحبة التسلط والسيادة الى الان

ولا ريب ان ما اتته هذه العائلة الكريمة الفخيمة من المآثر الغراء والمناقب الحسناء لاشهر من ان يذكر واكثر من ان يحصر كيف لا وفي ايامها ازدهت البلاد وارتاحت العباد وعمت الخيرات وتدفقت ينابيع البركات وهطلت غيوث النعم والعطايا فشملت كل الرعايا بل اصابت جميع البرايا . ولقد كان للطائفة القبطية من هذه النعم العميمة والخيرات الجسيمة اوفر نصيب نسال الله ان يرمق سلالة هذه العائلة بعين عنايته ويرعاها بكمال رعايته انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير

— ✻ تم الجزء الاول ويليه الثاني ✻ —

مقدمة

انحطاط الاقباط

لاريب ان من جال بعين فطنته ونظر ببصر بصيرته في تاريخ الامة القبطية الذي اتينا على ذكره في الفصول السابقة يعلم علم اليقين ان هذه الامة كانت ولا محالة في مقدمة الامم المتمدنة المتقدمة كيف لا وقد بلغت من الترقي والتقدم درجة لم يتسن لغيرها من الامم الوصول اليها وتحصلت على

جانب من الرقعة والسيادة لم يتمكن سواها من الحصول عليها الامر الذي يعترف بصحته كل من تنزه عن الغايات الشخصية وتجرد عن المآرب الذاتيـة او القى السمع وكـان شهيدا .

ولكنها لم تلبث ان انحطت انحطاطا تاماً وسقطت سقوطا كلياً . ففقدت كلما احرزته من الامتيازات العـديدة التى خصت بها وتحصلت عليها دون غيرها فاصبحت وانت لا ترى فيها الا امة صغيرة حقيرة لا ترمق الا بعين الامتهان والاستهجان بعد ان كانت رية السيادة وصاحبة السلطان . ومحط رحال الحكمة والعرفان تهرع اليها الفلاسفة والجهابذة من جميع الاصقاع والبقاع وسائر الانحاء والارجاء ليقتبسوا من علومهـم و يستنيروا بنبراس معارفهـم وسراج آدابهم ايام كان هـذا السراج وهاج .

فليت شعري ماهذا الانقلاب العجيب والتغير الغريب الذي لم يكن ليخطر بالبال لولا ان دوام الحال من المحال اهل عقول ابنائها ضعفت او ان جدارتهم وكفاءتهم عدمت او ان نباهتهم القـديمة انتزعت او لعلهم ليسوا من سـلالة اولئـك الاقباط القـدماء بل ادعوا تلك النسـبة والقرابة زورا و بهتانا .

لالعمري ان هذا الازعم عقيم وفهم سقيم فان هولاء

القوم هم هم سلالة اولئك الفراعنة الذين سادوا وشادو ووصلوا الى ماوصلوا وتحصلوا على ماتحصلوا ولم يعزيهم ضعف عقل او قلة نباهة او عدم جدارة ولكن هي الهمم فترت والعزائم خارت فجلبت على راس الامة هذا الوبال الوبيل والنكال الذي لم يعهد له مثيل

قوائم مجد تلك الامة القديم (وهو قسم لو تعلمون عظيم) ان انحطاطنا هذا ان هو الا نتيجة تهاوننا وتوانينا الذى اصبح تضرب به الامثال وتتحدث بذكره الامم على ممر الاحقاب والاجيال فهو الذي كان سبب تاخرنا وتقهقرنا وسر انحطاطنا وسقوطنا حتى اصبحت طائفتنا تشكوا الم الهبوط والتاخير ولا نصير هناك ولا مجير فالعياذ بالله من اوحال هذا الحال وليس ذلك فقط هو سبب انحطاط تلك الامة بل هنالك اسباب اخرى شتى لايسعنا الا ان نتحاشى سرد اغلبها ونخص منها بالذكر ماالحدق واحاق بهذه الامة من المصائب والنوائب من كل جانب وما تجشمه ابنائها من الاضطهادات التي تجاوزت حد الاعتدال و بلغت درجة الافراط كما يستنبط ذلك من مراجعة تاريخ تلك الامة ايام حكم العجم والرومان والمماليك البحرية على بلادهم فان مالا قوه من التضييق والاضطهاد وما صادفوه من العوائق والبوائق والعراقيل عاقهم عن المثابرة في خطة التقدم والسير على وتيرة الترقي وملازمة جادة الصعود حتي لقد قال بعض المورخين

المحققين المدققين انه لولا ما جبل عليه ابناء هذه الامة من التجلد والتسليم لاحكام القضاء والقدر وملاقاتهم لتلك الاهوال بقوة جاش وثبات جنان لبادوا جميعا منذ عهد بعيد ولم يكن لهم في الوجود وجود وناهيك ان سوء تصرف بعض ائمتها وجهل اغلبهم واستبدادهم وطموحهم الى الطمع والجشع وجنوحهم الى مقاومة الاصلاح وعدم توفر اسباب تعميم التعليم بينهم كان ايضاً اكبر دواعي التاخر واعظم بواعث هذا الانحطاط والتقهقهر والله العليم بذات الصدور

« توفيق عزوز »

النهضة القبطية الحديثة

لقد صدق من قال ان الفرع لا بد وان يرجع الى اصله مهما تقلبت الاحوال وكيفما اختلفت وانعكست الشوون وجرت صروف الظروف فهذه هي الامة القبطية التي ذاقت من انواع الاضطهادات والاضطرابات صنوفاً والواناً حتى افضى بها الامر الى الانحطاط والسمقوط لم تلبث ان شعرت بدائها الدفين وتنبهت لمصابها الجلل فنهضت تبحث عن الدواء الناجع النافع الذي يمكنها من معالجته ومداواته لتنتشل من ورطة السقوط ووهدة الهبوط وبهذه المثابة تكون قد تلافت الخطر

وتداركت الضرر ومحت عنها اثار العار والشنار الذي لحقها من جرا هذا التاخر وحتى لا يقال ان الدم الفرعوني القديم قد « برد وخمد » او ان هولاء الاقباط المتاخرين ليسوا من سلالة اولئك الاباعنة المتقدمين هذا ولكي يكون القاري اللبيب على بصيرة من حقيقة هذه النهضة وكيفية نشاتها وزمن وجودها يجمل ان نستطرد البحث في هذا الموضوع مليًا فنقول

انه لدى اول وهلة من سماع لفظة « نهضة » يتبادر الى الاذهان ان هذه النهضة انما قامت لها قائمة بهمة قوم مخصوصين وافراد معدودين كانوا هم السبب في اضرام نارها وابرازها من حيز التصور والتفكر الى عالم العمل والفعل فيقال لهم حينئذ منهضون او بمعنى اوضح واصح مصلحون

والنهضة القبطية التي نحن بصددها لم تتجاوز هذه القاعدة المطردة ولا هي شذت عنها بل قد قامت ايضًا بهمة رجال غيورين مخلصين جبلوا على محبة الاصلاح ومالوا بكليتهم الى نفع ابناء جلدتهم ورفع شان امتهم ولم يبغوا تلقاء ذلك ادنى مكافاة او جزاء عالميًا بل ابتغاء لمرضاة الله تعالى وحبًا في الخير العام وحسبهم مكافاة اقبال ابناء الامة عليهم لا ادبارهم عنهم والاخذ بناصرهم وشد ازرهم عالمين ان هولاء المصلحين انما هم شركائهم في نعمة الايمان الارثوذكسي القويم وان ما ينفعهم ينفعهم وما يضرهم يضرهم وما يغمهم يغمهم وما يسرهم

يسرهم هذا اذا كان المشرب معتدلا والغاية شريفة والا فالعكس بالعكس ولكن لسوء الطالع لم تكن الافكار كلها متجهة نحو هذه الوجهة ولا كانت اميال افراد الامة جميعهم تصبوا الى هذا الاصلاح الخطير لغاية في النفس ان لم نصرح بها ء جلا فسنذكرها آجلا وكل آت قريب

ولعل في مقالنا هذا نوع من الادغام والابهام فيجب علينا ان نميط عنه اللثام حتى يعلم الكل حقيقة الحال و يقف على كنه هذه المسالة الخاص والعام

تقول انه في سنة ١٥٩٠ قبطية اي في عهد تولية الخديوي الاسبق اسماعيل باشا ابتداء تاريخ هذه النهضة الاصلاحية التي طالما تشوقت اليها الخواطر وتشوفت الى روياها النواظر و بيان ذلك ان الجم الغفير والسواد الاعظم من ابناء هذه الامة لما راوا ما كانت عليه طائفتهم من التقدم والارتقاء وما آلت اليه حالتها من الهبوط والسقوط شق عليهم هذا الامر فدفعتهم عوامل النخوة الملية واستفزتهم اريحية المحبة الجنسية للقيام باصلاح طائفتهم ولو كلفهم ذلك فوق مالا يطيقون ولا يستطيعون . سيما وانه قبل هذا العهد بزمن ليس ببعيد كان قد تولى رئاسة هذه الطائفة غبطة الاب الموقر الحميد الاثر والخالد الذكر « انبا كيراس الاكبر » العاشر بعد المئة الذي لم تشعث هذه الطائفة وانشا مدارسها واصلح كنائسها وحسن حالتها كما

هو مبين ومدون بتاريخ حياته الشريف ولكن ابى الله الا ان يحرم الطائفة منه ويقبض عليها به فقبضه في شرخ شبابه وعنفوان صباه قبل ان يتمكن من اتمام اصلاحاته وتنظيماته التي آل على نفسه واخذ على عهدته انجازها واحدة فواحدة طبقًا لظروف الاحوال ودواعي الاحتياج شان من كان حكيما غيورا على مصلحة طائفته وخير ابناء امته فبعد انتقاله من دار العناء والشقاء الى ديار البقاء والهناء لم تلبث الطائفة ان عادت الى حالتها الاصلية حالة التناخر والتقهقر اذ ارتبكت اعمالها وتوقفت حركة اشغالها وتبددت اوقافها وخربت مدارسها وزال بهاء كنائسها وعادت تندب سوء حظها وتبكي فقد راعيها الصالح ورئيسها الغيور فما طرقت عبارات رثائها وبكائها آذان ساداتنا المصلحين حتى شمروا عن ساعد الجد وقالوا بقلب مفعم من الغيرة الجنسية وموعب من الشهامة الملية «هنا هنا ميدان الجهاد والطراد . وهنا هنا تظهر همم الرجال وشتان بين قوال وفعال »

هذه كانت حالة طائفتنا القبطية حينئذ وتلك كانت حاسيات ساداتنا المصلحين التي كانت تتوقد بين ضلوعهم وتخامر قلوبهم الطاهرة وتخالج افئدتهم السليمة ولا غرو في ذلك ولا عجب فان الرعية لا بد وان تكون على دين راعيها وقد علمت وقتئذ ما جبل عليه البطريرك الحكي عنه رحمه الله

من كمالات الصفات وصفات الكمالات التي اخذوها عنه واقتبسوها منه منذ نعومة اظفارهم ونضارة شبابهم

هذا ولما كان تاريخ هذه النهضة المتعلق بتاريخ هولاء المصلحين الكرام منقطعاً بالنسبة لما جريات مدته ونظرا لوقوعه في اوقات متفاوتة وازمنة متباينة تختلف باختلاف وجود هولاء المصلحين في مدد منقطعة فقد استصوبنا ان نقسمه الى ثلاثة اقسام سميناها لزيادة الايضاح الثلاث نهضات

النهضة الاولى

ابتدات هذه النهضة الاولى في سنة ١٥٨٩ قبطية وبيان ذلك ان الكثير من فضلاء هذه الطائفة ونبهائها ووجهائها الذين ذاقوا لذة الاصلاح الذي قام به البطريرك الاسبق المنوه عنه لما راوا انه بموت هذا الراعي الصالح قد ماتت كل هذه الاصلاحات والتنظيمات التي سهر على اجرائها ومباشرتها اناء الليل واطراف النهار لم يالوا جهدا في اعادتها واسترجاعها بعد اندثارها وضياعها عالمين ان ذلك من اوجب الواجبات المفروضة عليهم والزم اللزوميات المفتقرة والمضطره اليها طائفتهم فالتاموا واسسوا جمعية خيرية اصلاحية سموها (جمعية الاصلاح) شكلت في مبدا الامر من اربعة موسسين وهم حضرات

الافاضل الاماثل يعقوب افندي نخله وبرسوم افندي جريس وجندي افندي يوسف وعزوز افندي منقريوس ثم انتظم بعدئذ في سلكها عدد عديد من نبهاء ونزهاء الطائفة الذين كانوا ينتظرون هذه الفرصة الثمينة بفروغ صبر ولما اجتمعوا والتاموا بعض دفعات متواليات وصفا لهم الجو حرروا رسالة ضافية الذيل الى المرحوم الطيب الذكر انبا مرقس مطران البحيرة ووكيل الاسكندرية مذ كان في مسند توكيل البطريكخانه بمصر بعد وفاة المرحوم المبرور الذكر انبا ديمتريوس البطريرك سلف البطريرك الحالي والى النظار المتولين امر الاوقاف وقتئذ مرداها

حيث ان الغرض من وجود اوقاف للطائفة باسم الفقراء انه يصرف منها عليهم كما يستدل على ذلك من تسمية اسم كل وقف على حدته وحيث ان الفقراء المومأ اليهم مهملين ومطروحين في زوايا النسيان ليس لهم من يعولهم او يفتقدهم فضلا عن تصرف متولي تلك الاوقاف فيها تصرفاً مطلقاً . فالجمعية تعلن حضرة المطران الموقر ومتولي الاوقاف وعمد الطايفة اجمع انها ستجمع اجر بيوت الاوقاف التي هي تحت يد مشاركيها وما يتحصل منها في اخر كل شهر يصرف على الفقراء بمعرفتها

وكانت هذه الرسالة شديدة اللهجة قوية الحجة تشف من الجهة الواحدة عن خلوص نية اولئك الاعضاء الافاضل

وتشعر من الجهة الاخرى بالتهديد والترهيب والانذار والتحذير فوجفت منها القلوب وارتجفت الفرائص واتجهت الى هذه الجمعية افكار الامة باسرها وشخصت اليها انظارها وتوسم منها الكل للطائفة نجاحا تاما واصلاحا عاما

فارسل جناب المطران على اثر هذه الرسالة تذاكر دعوة رسمية لسائر عمد ووجها الطائفة يدعوهم فيها للحضور بالدار البطريركية لاخذ ارائهم في مسالة ذات بال فلما انتظم عقد هذه الحفلة الحافلة كلف نيافة المطران المبرور الذكر حضرة الاب الفاضل الاغومانوس فيلثاوس رئيس الكنيسة المرقسية الكبرى ان يتلو على مسامعهم الكريمة صورة الخطاب الاتي وهذا نصه

« معلوم لدى محبتكم انه معتاد من قديم اجتماع من يتوفق اجتماعهم احياناً من ابناء الطائفة بدار البطريكخانة للنظر في خصوصيات الملة والفصل فيها بالاتحاد مع الرئيس الحاضر (اعني البطرك) او من ينوب عنه غير انه لمناسبة مشغولية غالب اشخاص الطايفة في شوون انفسهم وعدم انتظام جمعية رسمية مولفة من اشخاص معينين باوقات معلومة كان سبق اعلان بتوتكم من طرفنا منذ سنة تقريباً بطلب تعيين جمعية رسمية مركبة من اثنى عشر شخصاً تنظر في اهميات الطايفة وخصوصيات الايتام والفقراء وغير ذلك ولما انه لحد الان لم

تبدوا لنا ما استقرت عليه افكاركم دعا الحال لاجتماعكم بهذا اليوم المبارك لتفيدونا بما ترونه موافقاً اجراوه والله تعالى يوفق لكم بالخير»

فريثما تلى هذا الخطاب على مسامع الحضور لهجت السن الجميع بالدعاء له والثناء عليه نظرا لحسن رعايته وكمال عنايته التي شملت جميع ابناء طائفته ثم طفقوا يتداولون مليا فى هذا الصدد واخيرا قر رايهم على انتخاب جمعية رسمية مركبة من اثني عشر شخصاً للنظر في خصوصيات الايتام وادارة الاوقاف ونظر وفصل قضايا الطائفة المختص نظرها بالبطريكخانة وان يتعين من قبل هذه الجمعية ثلاث قومسيونات كل قومسيون منها يكون من اربعة اعضاء احدها للاوقاف والثاني للمدارس والمطبعة والكنائس والثالث للاخوة الفقراء فوافقهم غبطة المطران على ذلك ثم شرعوا في انتخاب هولاء الاعضاء والنواب فانتخبوا اثني عشر عضوا ومثلهم نواباً وعرضوا صورة بجة الانتخاب على غبطته فزيلها بالشرح المحرر بخط سيادته والمختوم بختم نيابته تصديقا لها واعتمادا عليها

ولما تم هذا الانتخاب على افضل حال واكمل منوال استصوب حضرات المنتخبون ان يكون انتخابهم هذا بصفة رسمية تضمن لهم مزاولة اعمالهم ومباشرة اشغالهم على غاية ما يرام من تمام الانتظام والاحكام فتداولوا مع نيابة المطران بهذا الخصوص

واخيرا اجمع رايهم جميعا على عرض ذلك الانتخاب الذي تم بحضور هذه الجمعية العمومية على الاعتاب الكريمة الخديوية (اي الخديوي اسماعيل باشا) والتماس صدور الامر السامي بالتصديق عليه وقد حصل ذلك فعلا وورد الامر الكريم لمحافظة مصر بتاريخ ١٨ الحجة سنة ١٢٩٠ هجرية موييدا ذلك وهذا نصه

وكيل بطريكخانة الاقباط قدم لدينا انهاء رقيم ١٥ الحجة سنة ١٢٩٠ وعلمنا منه انه لمناسبة ان مصالح الطائفة القبطية المختصة بمدارسها واوقافها ومطبعتها وكنائسها اخذة في التقدم والعمارية قد تراآي له انه اذا تشكل مجلس من ابناء الطائفة للاتحاد معه في نظر وادارة خصوصياتها المعتاد نظرها في البطريكخانة يكون ذلك داعيا لزيادة ترقية تلك الامور ونجاحها فلهذا صار انتخاب اثني عشر عضوا لذلك المجلس واثني عشر نائبا لهم بمعرفة من لزم من الطائفة وتم الانتخاب بمحضر عمل بالبطريكخانة و يلتمس صدور امرنا للمحافظة بمعرفة المجلس المحكي عنه واختصاصه برؤية الامور المشني عنها وحيث ان ما حصل من انتخاب اولئك الاعضاء والنواب لتشكيل ذلك المجلس بالكيفية التي توضحت قد استحسن لدينا وقورنا بمساعدتنا اجابة التماس وكيل البطريكخانة (مقدم الطلب) الموما اليه فبذلك لزم اصدار امرنا هذا اليكم للمعلومية بما ذكر وهذا

كما اقتضت ارادتنا

فلما صدر هذا الامر السامي الكريم تلقاه حضرات اعضاء المجلس بما يليق بمقامه الخطير من الاعتبار والوقار واحلوه من قلوبهم محلا رفيعا ثم طفقوا يزاولون اشغالهم ويباشرون اعمالهم بما عهد فيهم من الغيرة والنشاط ولا سيما لعلمهم بان هذا المجلس قد صار وقتئذ معتبرا لدى الحكومة السنية الخديوية ومطابقا لمشرب عموم الطائفة القبطية وانهم اصبحوا الان مسوولون عن اداء هذه الخدمة الشريفة المنيفة امام الله ومطالبون بها لدى ابناء الامة التي انتخبتهم ليكونوا نوابا عنها يذبون عن حقوقها ومصالحها وبهذه المثابة كان هذا اول مجلس تشكيل بطريقة منتظمة وكيفية محكمة للامة القبطية

وما زالت قرارات هذا المجلس مرعية الجانب واجراآته الاصلاحية نافذة المفعول تحت رئاسة حضرة المطران الموقر الى ان انتخب سيدنا الحالي للبطريركية بناء على طلب حضرات اعضاء المجلس المومأ اليه بالاتحاد مع حضرات الآباء الروساء الذين كانوا موجودين وقتئذ بالبطريكخانة بصفتهم نوابًا عن عموم افراد الامة القبطية

وعند ما قدمت عريضتهم هذه الى جانب المعية السنية طلبوا اعنى اعضاء المجلس (للمثول بين يدي الخديوي الاعظم اسماعيل باشا) بسراي عابدين العامره وبعد الاستفهامات

اللازمة والاستعلامات الضرورية صدر الامر السامي و نطق الكريم بالتامين على رسم غبطته بصفة بطريرك لشعب القبطي ورئيساً للمجلس الملي

ولما تولى غبطته تخلى للمطران انبا مرقص من مسند وكالة البطريكخانة واصبحت اختصاصاته قاصرة على مباشرة شوون وظيفته بالبحيرة والاسكندرية . فانتدب جنابه للتراس على المجلس بدلا عنه فقبل ذلك بملء ا نشراح والارتياح ومن ثم صار يحضر جلساته بذاته و يتراس عليها ومن ضمن الاعمال الجليلة بالذكر الحقيقة بالشكر التي قام بها المجلس الموقر حينئذ انشاء المدرسة الاكليريكية الشهيرة في شهر يناير سنة ١٨٧٥ مسيحية الموافقة سنة ١٥٩١ قبطية ولكنها لسوء الحظ لم تدم لاسباب سنوردها في حينها

هذا ولقد راى رجال المجلس حفظهم الله ان الوظيفة الروحية الشريفة المنيفة ارفع شاناً واسمى مقاماً من ان يتفرغ صاحبها للنظر في الشوون العالمية والمصالح الدنيوية بناء على ان الدين والعقل والنقل والاختبار يقضي بذلك فقرروا في احدى جلساتهم ان يناط بتلك الاعمال وهاتيك الاشغال بعض افراد الطائفة القبطية الذين يجري انتدابهم للنظر في امر الاموال والاوقاف وخلافها من الامور التي هي من هذا القبيل ورفعوا صورة هذا الاقتراح الى غبطة البطريرك لاخذ رايه فصدق عليا بخطه وختمه ووافقهم على تنفيذها واجراها وهكذا ما زل

المجلس المذكور نهجًا منهج الاعتدال وسائرا على محور السداد والكمال ينشر القرارات ويباشر الاصلاحات وينظم المدارس ويصلح الكنائس ويفتقد الفقراء الى غير ما ذكر من المآثر الحسناء والمناقب الغراء وهو مع ذلك يوالي اجتماعاته ويعقد جلساته بدون توانٍ ولا انقطاع ولم يكن هناك اختلاف ولا نزاع اذ كانت الاراء تقدم والملحوظات تبدي والحكم فيها يكون طبقًا لسنة الاغلبية والاجماع

ولكن لما كان شان القلوب التقلب وعادة الافكار التغير والتضارب طرات بعض اختلافات جزئية بين غبطة البطريرك وبعض حضرات ارباب المجلس وذلك بعد تولي غبطته مسند الرئاسة ببضع اشهر يعني في اواخر سنة ١٥٩١ اما هذه الاختلافات فكانت دائرة وقاصرة على بعض مناقسات شخصية محضة ليس الا لا دخل لها في اشغال المجلس وتلك امور لا يخلو الحال من وجودها ولا يبعد على الظروف ان تاتي بمثلها فنشا عن ذلك عدم انعقاد جلسات المجلس وانحلال المدوسة الاكليريكية التي المعنا عنها

اما ارباب المجلس فاقتضت حكمتهم وابت شهامتهم ونخوتهم الا ان ينحسم هذا الخلاف وتعود المياه الى مجاريها فبعد ما تداولوا مليًا في الطرق الموصلة الى ذلك عقدوا اخيرا المجلس في يوم ١٠ ايلول سنة ١٥٩١ وباتحاد اراء الجميع واجماعهم اصدروا قرارا موداه عدم التصريح لاحد من اعضاء

المجلس او رئيسه (البطريرك) ان يجري بانفراده عملا متعلقا بالمجلس ووجوب اعادة المدرسة الاكليريكية وتسليم النقدية للخواجا عوض سعد الله . وقد صادق على ذلك غبطته بخطه وبهذه المثابة تمكنوا من نزع اسباب النزاع واعادة الحالة الى ما كانت عليه فعم العموم حينئذ الفرح والمرح وانقشعت غياهب الكدر والترح اذ اعطي القوس باريها واسكن الدار بانيها ولماً صفت سماء القلوب من سحائب الهموم وتنقت من شوايب النفور وغيوم الغموم وضربت الطمانينة والسكينة اطنابها في جميع الافئدة المتباعدة المتنافرة فصيرتها متقاربة ومتحابة متضافرة عاد حينئذ الاصلاح يوالي السير الهوينا وامل الكل تمام الخير والنجاح ودوام الصلح والفلاح ثم كتب غبطة البطريرك الى جناب الاب الفاضل والاغومانوس الهمام فيلثاوس يستنهض همته ويستفز غيرته لاعادة المدرسة الاكليريكية وبث روح التعليم فيها كما كانت في المدة الماضية

كل ذلك يجري والقوم وقوف ينظرون الى ذلك بعين الاعجاب والبشر مبتهلين الى الله جل جلاله ان يعيد الالفة والوفاق ويمنع اسباب النفرة والشقاق على انه لم يكن يخطر على بال احد ان وراء السويداء شياطين وافاعي يمقتون هذا الاصلاح الخيري (لغاية في النفس) ويبذلون قصاري جهدهم في تقويض اركانه وهدم بنيانه الوطيد لاذمة عندهم فتبكتهم ولا ضمير لهم فيوبخهم ولا هم من تلقاء انفسهم يرعون

ويرتدعون اولئك يوم طمس الله ابصارهم واعمى بصائرهم فاصبحوا ولا هم لهم لا هدم ما بناه غيرهم فلاهم ينفعون ولا هم يكفون كانهم المقصودون بالذات من قول الكتاب لايدخلون ولا يدعون الداخلين يدخلون فهولاء القوم الاغبياء الذين ديت فيهم روح البغضاء والشحناء من جهة ارباب المجلس طفقوا يحضون غبطة الطريرك ويحرضونه على عدم موالاة انعقاد المجلس فرضخ لمشورتهم واذعن لمقترحاتهم عن طيب خاطر وبساطة ضمير ولا تعب ايها الحبيب من فوز هولاء الاغبياء فان لهم اليد الطولى في التداهن والدهاء والتلون الذي يفوق تلون الحرباء ومن كانت هذه صفاتهم واوصافهم فليس ذلك الامر عليهم ببعيد بل هو اقرب اليهم من حبل الوريد ومن ثم عاد الانقلاب السريع والتغير الخبيث فوقفت حركة اعمال المجلس وانحلت المدرسة الاكليريكية الكلية ثانيا وامر البطريرك وجزم وصمم على عدم وجود المجلس مطلقاً وذلك كله انما نشا من تاثير اراء مشيريه المتلونة واقتراحات مدبريه الخبيثة التي اخذت من قلبة كل ماخذ وقانا الله من نفاق المنافقين ومكر الماكرين

اما جمعية الاصلاح التي نوهنا عنها آنفا فانتهزت هذه الفرصة وطفقت تحرر النشرات وترسل الخطابات الى الفريقين تارة سرا وطورا جهرا تحثهم فيها على نزع اسباب الخصومات ورفع دواعي المشاحنات والعداوات والمعود الى الوفاق والاتفاق

وكذا بعث ايضاً المرحوم اسماعيل باشا المفتش تذكرة غير رسمية يحض فيها غبطة البطريرك على الالتئام والوئام مع المجلس فاذعن غبطته اخيرا مرضاة لخاطر سعادته ولكن كان هذا الاذعان وقتياً ثم عاد الى ما كان عليه فذهبت جميع هذه المساعي ادراج الرياح وهكذا اخذ الخطب يتفاقم والخصام يتزايد ويتعاظم فاهملت الشؤون الليبة وتوقفت حركة الاصلاحات الطائفية وانحل المجلس انحلالا كاملا

النهضة الثانية

من يرضى بالذل والخذلان او من يتحمل الهوان والامتهان الا الخسيس الجبان الذي منعت عنه قوة الادراك والتمييز ونزعت منه حاسة الشعور والاحساس او من العقلاء يرى ان غيره من الخلائق في صعود وسعود . يرضى لنفسه بالتاخر والتقهقر لعمري ان نفوس الاحرار الآبية تابى ذلك كل الاباء وتصبوا الى مجاراة الفضلاء والنبلاء ميالة الرجال الكرام العظام . سنة الشهامة من قديم الاذل يهيبات ان تجد لسنة الشهامة الغريزية تغييرا او تبديلا . تلك كانت مبادىء بعض فضلاء الطايفة بعد انحلال المجلس الملي وسقوطه في هذه الدفعة الثانية تلك السقطة التي هلعت لها قلوب احباء الخير

ونصراء الاصلاح وجزعت من هولها افئدة زعما الحق ودعاة الصدق الذين الوا على انفسهم واخذوا على عهدتهم ان لا يالون جهدا ولا يعلون مهدا مالم يروا طابقتهم تضارع غيرها من الطوايف المتمدنة المتقدمة شان الغيورين الاحرار الذين يفضلون زَ النار عن العار)

ففي سنة ١٨٨٣ (اي عقب اطفاء وانقضاء الثورة العرابية الشهيرة نهض هولاء الفضلاء نهضة ثانية يطالبون بحقهم المسلوب منهم ظلما وعدوانا . .

فلما توقع منهم غبطة البطريرك ذلك عقد العزيمة على عدم تلبية دعوتهم واجابة طلبهم (مهما افضى الحال) وكان ذلك بناء على ما اشار به عليه مشيريه ارباب الخداع والدهاء فلما علموا ما انطوي عليه ضمير غبطته ومن كان على شاكلته وعلموا ان مطالبتهم هذه لاتجديهم نفعا عمدوا الى الاجتماعات والمداولات عساهم يتمكنوا من تنفيذ ماربهم وتتميم رغائبهم فاجتمعوا في غاية طوبة سنة ١٥٩٩ قبطية الموافق ٦ فبراير سنة ١٨٨٣ مسيحية اجتماعاً عموميا حضره عددا يتجاوز المئة وعشرين شخصا من وجها ونزهاء ونبهاء الطايفة المهذبين العارفين طرق الاصلاح الحقيقي وفي مقدمتهم سعادة بطرس باشا غالى وحضرات البكاوات الموقرين ولما استقر بهم الجلوس خاطبهم سعادة الباشا بما موداه ان الغرض من هذا الاجتماع هو المداولة والمفاوضة في طريقة ناجعة ووسيلة نافعة تمكنهم

من اعادة المجلس فاجمع الجميع على وجوب المبادرة الى ذلك ثم اتفقوا على احاطة غبطته بما ارتاوه من الاراء السديدة والاقتراحات المفيدة فابى كل الاباء واخيرا اجتمع اكابر الشعب القبطي وعرضوا المسئلة على دولة رئيس النظار المرحوم شريف باشا الذي عرضها على سمو الخديوي الاعظم المغفور له محمد توفيق باشا فاقتضت ارادته الكريمة صدور امره العالي للمرحوم الباشا رئيس النظار في ٤ جماد اول سنة ١٣٠٠ — ١٠ مارث سنة ٩٨٨٣ نمرة ١ الناطق بوجوب تشكيل المجلس ولما صار تبليغ هذا الامر الكريم لغبطة البطريرك لم يسلم في مبدا الامر فانتدب البعض من ابناء الطائفة لتفهيمه بما ينبغي عن لزوم الاذعان لاوامر الجناب العالي فلم يعرهم الا اذناً صماء فكانوا كمن يضرب في حديد بارد ثم حرر خطاباً لدولة الباشا رئيس النظار جوابا على ماصدر منه موداه ان العادة المعتادة منذ القدم بان لايكون لهذه الطائفة مجلسا لانه لا لزوم له وان ذلك يخالف القواعد الدينية والعقائد الكنائيسية الخ. ولكن فضلا عن كل ذلك لم تعر الحكومة اقواله جانب الالتفات بل صدر امر آخر يقضي بتكرار التنبيه عليه باطاعة الاوامر العلية وتشكيل المجلس فاذعن اخيرا رغما عنه ثم بعث برقاع الدعوة الرسمية لابناء الطائفة للحضور بالدار البطريركية وكان ذلك في ايام الصوم المقدس ١٤ برمهات سنة ١٥٩٩ وقد حضر هذه الحفلة غبطته بذاته مصحوبا باحد

الاساقفة وبعد تقديم الدعاء للعزة الالهية خاطب الجمهور بما موداه انه من حيث ان اعيان الطائفة رغبوا تشكيل المجلس كالسابق وطلبوا ذلك من الحكومة السنية كنا افتكرنا تاخير ذلك حيث اننا الان في ايام الصوم لكن اقتضي الحال لصدور امر افندينا فطاعة للامر حيث كل منا يلزمه اطاعة الاوامر الخديوية لزم اجتماعكم لانتخاب اعضاء ونواب المجلس . ثم نهض سعادة الباشا واظهر للحضور الغرض الاصلي من هذا الاحتفال واردف كلامه بالدعاء لسمو الخديوي المعظم ووزرائه الفخام وتلا خطاب دولة رئيس النظار السابق صدوره لتبليغ الامر العالي ومن ثم اخذ كل من الحاضرين ينتخب من يري فيه الجدارة واللياقة ثم عرضت صورة الانتخاب على الجناب العالي فصدق عليها

وعلى هذا النسق وذاك النمط تم انتخاب المجلس في الدفعة الثانية بهمة هولاء القوم الافاضل المحترمين واولئك السادة المصلحين الموقرين الذين لم يتمكنوا من نوال بغيتهم والحصول على امنيتهم الابعد العناء الشديد والجهد الجهيد. ومن ثم سارت الاعمال ثانيا على محور الاستقامة وكمال الاعتدال ولكن ابى الدهر الا انه يعاكس هذه الطائفة المنكودة الحظ فقيض لها شياطين آخرين لا ذمة عندهم ولا دين طفقوا يوغرون صدر غيطة البطريرك و يثيرون خاطره ضد المجلس حتى تمكنوا من نوال غرضهم الخبيث فانقطع غبطته عن حضوره ثم اخذ

التواني والتراخي يزداد رويدا رويدا حتى تاخرت الجاسات وتوقف سير القرارات وبالاجمال عوق هذا المجلس اللاحق بما عوق به المجلس السابق حتى كاد يبطل ويضمحل راساً فكانت العوامل المحرضة لغبطة البطريرك على مقته وايقاف حركته هي نفس العوامل التي ادت الى انحلال المجلس الاول اي دسائس ذوي المآرب الشخصية والرغائب الذاتية حمانا الله من خداع كبل مكابر ومهاتر ووقانا من شر الخادعين المنافقين الذين باعوا دينهم بدنياهم

النهضة الثالثة

من تعود على عادة خصوصية صارت ولا شك له عادة ثابتة وملكة راسخة لا تمنع عنه ولا تنزع منه ما دامت الارض ارضاً والسماء سماء ومن تطبع على شي وشب عليه صار هذا التطبع فيه طبعا ملازما له ووصفا خاصا به فهكذا كان الحال مع نبلاء الطائفة القبطية واغنيائها الطغمة الاكليريكية فان كلا الطرفين كانا مصرين على السير في خطتهما وعدم العدول عن منهجهما

اما الفريق او ان شئت قل الحزب الاول يعني احباء الاصلاح فكانوا لا يرون بدا من اعادة المجلس نظرا لما ظهر لهم منه من النفحات الجلية المفيدة والثمرات العديدة الحميدة فبعد

ان استمر تعطل المجلس الاول وانحل او كاد ينحل واهملت الاصلاحات والتنظيمات والمّ بالطائفة ما المّ بها من الاوبات واعترها عندئذ ما اعتراها من العاهات شق هذا الامر على سادتنا المصلحين فلعبت بهم عوامل الغيرة واستفزتهم بواعث الاخوة فعقدوا النية على امتثال امتهم من هذه الوهدة العميقة ولكنهم كانوا يخفون ارائهم ومبادئهم تحت طي الانتظار ظناً منهم بان الحالة ربما انصلحت من ذاتها بدون تكبد تعب او تجشم نصب ولكن عيل اخيرا صبرهم ولم يجدوا للكظم والتجلد سبيلا فنهضوا نهضة ثالثة هي النهضة الاخيرة الشهيرة التي كانت لها طنة ورنة دوي صداها في الاذان ولم يسمع بمثلها في كل زمان ومكان وقد كثر في شانها القال والقيل وكتبت بخصوصها المقالات الضافية ونشرت النشرات المفحمة الشافية ودونك ايها القاري اللبيب تفصيل تلك النهضة الثالثة تفصيلا كاملا شاملا

انه بعد مضي ثمان سنوات على انتخاب المجلس في الدفعة الثانية كما مر لم يات بالنتيجة المقصودة بالذات من وجودة نظرا لعدم رضا غبطة البطريرك عنه وسعيه في ابطاله وانحلاله وناهيك ان مدة اربابه كانت قد انتهت وقتئذ قانونياً فلم يرق هذا التواني الزائد والتراخي الذي تجاوز الحد في اعين الكثير من نبلاء الامة ونبهائها الغيورين على مصلحتها واصلاح شوونها فنهضوا نهضة ثالثة يطالبون بحقهم المقدس ويطلبون تجديد الانتخاب لما اتضح لهم وظهر امام اعينهم من الاصلاحات

الخطيرة التي قام بها في الماضي خير قيام

وفي يوم ٢٣ يونة سنة ١٦٠٧ قبطية تجمهر منهم جمهورا معتبرا مولفا من نخبة اعيان ووجوه الملة ونبهائها وحضروا الى البطريكخانة لمخابرة غبطته بهذا الصدد ولكن لما كان (سيدنا) قد اصبح يشمئز و يستنكف من اسم المجلس دار الكلام بينهم و بين غبطته مدة من الزمن على غير جدوى

ولم يكتف غبطته برفض طلبهم وعدم اجابة دعوتهم بل حرر ايضاً للمعية السنيه ولرئاسة مجلس النظار بناء على ما حسنه لديه الماقتون للمجلس الناقمون عليه بما شاء من التنديد بالمجلس والطعن فيه وعدم لزومه بالاصالة . اما حضرات ارباب المجلس او بالحري منتطبي المجلس ومن وافقهم على ذلك من نوابغ الامة ونخبتها فبالنسبة لتغيب سعادة الباشا الوكيل في اوروبا وتاكدهم من حقد البطريرك على المجلس ولعلمهم بان البند (٣٢) من لائحة المجلس المشرفة بالامر العالي مصرح به «انه عند غياب الرئيس او وكيله في وقت لزوم الاجتماع يتولى رئاسة المجلس موقتاً من ينتخبه الاعضاء» فقد راوا ضرورة الاجتماع طبقاً لهذه المادة وانتخاب من يلزم و بعد ان اجرى لانتخاب آل امر الرئاسة الموقتة الى المرحوم الطيب الذكر سعد بك ميخائيل

ولما اصبح المجلس في حالة منتظمة عقدوا النية على ان يجمعوا جمعية عمومية مولفة من نخبة الطايفة بالدار البطريركية تكون

بمثابة لجنة عمومية يراسها غبطة البطريرك لتجديد الانتخاب بطريقة منتظمة محكمة لا تقبل نقضاً ولا ابراماً وكانوا يظنون ان البطريرك ينعطف و يتنازل لاجابة دعوتهم في هذه الدفعة ولكن خاب ظنهم وساء فالهم اذ ان غبطته حفظه الله ريثما علم انهم عزموا على ذلك وشرعوا في توزيع رقاع الدعوة بادر بتحرير رسالة لسعادة محافظ مصر الاكرم يقول له فيها بان هذا الاجتماع سيتاتى منه ما يخل بالنظام العام و يطلب من سعادته ارسال بعض انفار البوليس حفظاً ووقاية له من غدر ابنائهِ « تامل تامل » وبما ان واجبات المحافظ تقضي عليهِ باجابة مثل هذه الطلبات فقد ارسل راساً الى غبطته عدداً من انفار البوليس اما حضرات ارباب المجلس المحترمين الموقرين فحفظاً للكمال وحسماً للقيل والقال امتنعوا هم واخوانهم المصلحين عن الاجتماع بالاصالة فلم يقتنع غبطة الاب البطريرك الصالح والراعي الغيور بكل ذلك بل زاد الطين بلة ووسع الخرق على الراتق اذ لم يكتف برفض طلبهم وتوغير الصدور عليهم والاستنجاد برجال البوليس على منعهم بل حرر ايضاً الى جميع المطارنة والاساقفة ورؤساء الاديرة يطلب اليهم الحضور الى الدار البطريركية ولم يكن جل قصده من هذا الاجتماع تعديل بعض مواد الانجمة (كما ادعى اولا) بل لكي يستعين بهم على محو آثار المجلس واطفاء انواره فلما اجتمع بهم جميعاً طلب اليهم ان يوازروه ويشاطروه في تنفيذ اغراضه السيئة فلم يسعهم الا الرضوخ

والاذعان فحرروا القرار الحكمي المشهور ضد ايجاد المجلس وسموه بالقرار الاكليريكي . وليس في هذا القرار مايهم ذكره اذ كله يفيد ان العادة لم تكن جارية في انتخاب مجالس وان المجلس مخالف للدين الى غير ذلك من الخرافات والخذعبلات الصبيانية ويسرنا هنا ان نقول بملء السرور والانشراح ان البعض من المخلصين الصادقين الذين يقولون الحق وينادون بالصدق على رووس الاشهاد غير خاشين في تقرير الحقيقة على علاتها لومة لائم من نفس الاكليروس الذين استحضرهم جنابه رفضوا موافقته على تحرير هذا القرار مثل جناب القمص الموقر الاغومانوس فيلثاوس وحضرة الفاضل القمص بطرس رئيس كنيسة الملاك بالدير البحري . اما الباقي فامضوا على هذا القرار (وربما كان اغلبهم يجهل مافيه) وذلك مرضاة لخاطر رئيسهم وابيهم مفضلين بيع الذمة والدين والشرف (ان كان عندهم دين او شرف) على رفض طلبه غير عالمين انهم سيقفون يوما ما امام عرش الديان ويسالون عما جنت ايديهم يوم لاتنفعهم شفاعة غبطته ولاهم يعافون ولسوف يعلم الظالمون اي منقلب ينقلبون

وفي اليوم الثاني لانهاء هذا القرار الملفق توجه حضرة البطريرك يصحبه بعض الاباء الروساء الى الاسكندرية ليعرض على المسامع الكريمة والاعتاب الخديوية الفخيمة مرغوباته المعلومة «لان الخديوي المرحوم توفيق باشا كان مشرقا الثغر وقتيئذ» ولكن

لما كان سمو الامير رحمه الله اسمى معرفة من ان يجهل كنة هذه المسالة التي صدرت عنها اوامر خديوية سابقة لم يعر هذه الطلبات جانب الالتفات ولم يكترث بتلك الترجيات العديمة الثمرة بل كان مضمون نطقه الشريف وجوب العمل بمقتضى الاوامر الخديوية الماضية . وفي هذه الاثناء تشرف جملة من ارباب المجلس بالمثول بين يدي سموه وسمعوا باذانهم النطق الكريم بما يفيد تاييد استمرار المجلس طبقا للاوامر العلية واستحسان مصالحة جناب البطريرك على هذه الصفة فقدموا جميعا واجبات الشكر وفرايض الاخلاص والعبودية للحضرة الفخيمة الخديوية وانصرفوا وكلهم السنة تلهج بالثناء وتكرر عبارات المديح والدعاء

ولما عاد سعادة الباشا من اوروبا ورأى ماراى وعلم ماعلم اقتضت حكمته وسياسته ان يوفق بين الطرفين المتنازعين لعلمه بان هذه النجع وسيلة وانفع طريقة تودي الى رفع شان الملة واتمام الاصلاح المقصود بالذات فتمكن بما جبل عليه من الحزم والعزم والهمة والحكمة الى ازاله الخلاف والشقاق واعادة الائتلاف والوفاق . وفي يوم ٢٢ بابة سنة ١٦٠٨ — اجتمع ارباب المجلس يتقدمهم سعادة الباشا المومأ اليه بالدار البطريركية وعقدوا جلسة حضرها غبطة البطريرك وتراس عليها وبهذه الجلسة نفسها اعلن الصلح والصفاء بين غبطته وابنا امته ولكن لما كان هذا الاخماد وقتيا ظاهريا فقط لم يلبث ان تبدل ثانيا اذ

عاد جناب البطريرك الى نفرته و بغضته للمجلس وعدم ميله اليه بالمرة وقد بذل حينئذ وجهاء الطائفة ونبهائها وفي مقدمتهم (جمعية التوفيق) الموقرة الغيورة التي كانت برزت وقتئذ تختال في حلل العدالة وترفل في ثياب الحرية وتجر مطارف الغيرة والمروءة فحلت محل جمعية الاصلاح التي مر ذكرها في تاريخ النهضة الاولى وقامت مقامها ولكن لم يجد ذلك كله نفعاً بل ذهبت تلك المساعي جميعها هباءً منثورا لان غبطته ومن كان على شاكلته من زعماء الفساد ونصراء الخراب والدمار قد حتموا وصمموا على رفض قبول المجلس رفضاً قطعياً . وناهيك ما نشرته جمعية التوفيق المذكورة في تلك الاثناء من النشرات المفحمة والمقالات المردعة المقنعة التي كان الغرض من نشرها على ابناء الامة رفع القناع ونزع النقاب عن محيا الحقيقة تنويرا للاذهان وتقريرا للحقائق ولكنها لم تكن الا لتزيد هولاء الاغبياء تكبرا وتجبرا فقد ابوا الا تكدير صفو راحة امتهم وعدم الانقياد لصوت الحق الصادح

ولما تفاقم الخطب وتعاظم الكرب عرضت هذه المسالة اخيرا على الحكومة السنية عقب وفاه الخديوي المرحوم توفيق باشا فلما وقف سمو الامير الخطير والمولى الحازم البصير خديوينا العباس (حفظه الله) على كنه هذه المسالة وماهيتها من بدايتها الى نهايتها تفضل بصدور امره الكريم القاضي باعادة تجديد انتخاب المجلس بحضور مندوب من قبل الحكومة

وقد تم ذلك الانتخاب فعلا بالدار البطريركية بطريقة علنية رسمية بحضور الجم الغفير والسواد الاعظم من ابناء الامة بالعاصمة وعدد عديد ايضاً من جهات الارياف الذين وفدوا اليها لهذه الغاية نفسها

ولما انتظم عقد هذا الاحتفال الحافل قام سعادة الحافظ وافصح للحضور عن الغرض من الاجتماع فقال ما مؤداه

ان رغبة امير البلاد في راحة وتقدم رعيته اقتضت ان يكون لهذه الطائفة القبطية مجلسا ينظر في شؤونها ويدير مصالحها اسوة غيرها من الطوائف بناء على طلب وجوه واعيان تلك الامة ولذا اصدر امره الكريم بانتخاب اثني عشر عضوا ومثلهم نوابا لادارة حركة هذا المجلس وقد ارسل سعادة الياس بك ادوار مشيرا الى مندوب الحكومة لحضور هذا الاحتفال بمثابه مندوب من قبل حكومة الجناب العالي فما عليكم ايها السادة الحضور الا ان تنتخبوا من تجدوا فيه الجدارة والاهلية بكل سكينة وحرية.

فريثما تلا سعادة المحافظ هذه العبارة الموجزة المعجزة ضج الحضور بالدعاء لسمو الخديوي المعظم والثناء على همة حكومته السنية الساهرة على راحة رعاياها المخلصين لها والمحافظين على ولائها سرا وجهرا ثم شرعوا في الانتخاب وامارات الانشراح والارتياح تلوح على محياهم الى ان تم هذا الانتخاب على اعظم نسق واحكم اسلوب ثم تليت اسماء المنتخبين على مسامع الحاضرين فقابلوها بالتصفيق والتهليل

وعند الختام هتف الكل صارخين مبتهلين من صميم افئدتهم (ليعش افندينا ليدم خديوينا) ثم قفلوا راجعين وقد اخذ البشر والحبور من قلوبهم كل ماخذ مومليين ان يكون ذلك الانتخاب خاتمة تلك الاتعاب ونتيجة هاتيك الانصاب .

ولما عرضت صورة هذا الانتخاب على الاعتاب الخديوية صدر الامر الكريم بتاييدها وتثبيتها وبعدئذ دعى غبطة البطريرك للتراس على المجلس فابى وحرر من الاسكندرية لحضرات الاعضاء يقول لهم انهُ لا يرغب وجود المجلس ولا يروم التراس عليهِ على الاطلاق فقضت حينئذ الضرورة « والضرورات تبيح المحظورات » ان اجتمع المجلس وقرر نزعه من الرئاسة ومن ادارة شوون الطائفة ايضاً وانتخاب وكيل يقوم مقامه فصدرت الارادة السنية بالتصديق على ذلك وكذا اجتمع ايضاً المجلس الملي مع الروحي الذي تشكل موقتاً وقرر انه(بناء على اصرار البطريرك وعناده وعدم انقياده لاوامر الحكومة وحيث ثبت ان المغري له على اتيان هذا العصيان هو مطران الاسكندرية فمراعاة لاستتباب الراحة العمومية وعدم تكدير النظام العام وخدش الاداب القومية ومنع الشقاقات الداخلية تقرر ابعاد انبا كيراس البطريرك الى دير البرموس ببرية شهاة وهو الدير الذى كان راهباً فيه لاقامتهِ بهِ وعدم مبارحتهِ اياه الا بامر الحكومة السنية وكذا ابعاد مطران الاسكندرية الى دير انبا بولا بالجبل الشرقي) وقد صدر الامر السامي موبدا ذلك بتاريخ اول ستمبر

سنة ١٨٩٢ وقد تم ذلك كله فصفا الجو بعد ان كان مكفهرا وعاد الصفو والسكون بعد ان كان نائيا ومعادرا فطفق المجلس يدير الاعمال و يدير الاشغال بكل همة ونشاط حتي انه في خلال ستة اشهر اصدر تقريرا بين فيه ما اتاه في خلال هذه المدة القصيرة من الاصلاحات الخطيرة وكان رئيسه وقتئذ الاب الفاضل والحبر الموقر الكامل نيافة الانبا اثناسيوس اسقف كرسى صنبو المترشح لهذا المنصب السامي والمركز الرفيع بناء على طلب اعضاء المجلس الموقر بعد تصديق الحكومة السنيه

ولكن لم تلبث المسالة ان انقلبت انقلابا غير منتظر و بيان ذلك أن الوزارة المصرية تغيرت وقامت بعدها وزارة جديدة هى الوزارة الرياضية فانتهز اعداء الاصلاح هذه الفرصة المناسبة وطفقوا يعرضون العرايض و يقدمون الطلبات ملتمسين العفو عن غبطة البطريرك واعادته الى رتبته فبعد ان تفاوض دولة الوزير الخطير مع اغلب نخب هذه الطائفة وفي جملتهم ارباب المجلس اجاب اخيرا طلبهم فصدر الامر الكريم بارجاعه الى منصبه وكذا ارجاع المطران الاسكيدرى الى مركزه بشرط ان لايعودا الى مثل هذا العصيان والطغيان

ولما عاد البطريرك الموقر مصحوبا بالصحة والسلامة الى مركز وظيفته تنبهت عندئذ الافكار وتوجهت الانظار وشخصت الابصار الى ماعساه يحصل بعد هذا التقلب العجيب والتغير الغريب فكان

لبعضهم يظن ان غبطته لابد وان يذعن لمقترحات ابناء طائفته ويرضخ لاوامر حكومته . وكان يتوهم البعض الاخر انه لايحيد عن جادته ولا يقلع عن خطته بناء على ماظهر منه من التشبث والاستبداد الذي كان سببا في احتدام هذا الخصام واضرام نار ذاك الخلاف وهكذا كنت تبري القوم مابين مصدق ومكذب ومحقق ومرتاب تاركين القول الفصل والحكم القطعي في هذه المسالة للاجريات الاحوال وصروف الظروف لعلمهم ان المستقبل ابو العجائب والغرائب فلربما ياتي بمالم يكن في الحسبان اذ ليس على الدهر شيء بعيد الاحتمال والامكان

واول حركة امل الجميع منها كل بركة وايدت قول القائلين بان غبطة البطريرك سينقاد انقيادا مرضيًا هو ما رآه رجال المجلس ورئيسهم الموقر ابنا اثناسيوس ورجال جمعية التوفيق الموقره من اكرام غبطته لهم واحسان وفادتهم فضلا عن مصالحتهم ومصافحتهم علانية على مرآى ومسمع من الجميع الامر الذي احيا ميت املهم وانتشلهم من وهدة باسهم وفنوطهم فخرجوا من عنده فرحين مسرورين مستبشرين مبتهلين الى باري النسم ورب الجود والكرم ان يديم الحال على هذا المنوال ولا يصرم حبل تلك الاماني والامال على مر الاحقاب والاجيال

ولكن لما كانت سنة الدهر الغدر وطبيعة الزمن الاعتساف والجور ابى الاحرمان احباء الاصلاح من نوال هذه الامنية والحصول على تلك البغية اذ قام بعد ذلك غبطة البطريرك وحز به

ثانياً ينادون بالويل والثبور طالبين محو اثار المجلس الملي الغيور الذي لم يجترم جرماً ولم يقترف اثماً بل لا ذنب له الا غيرته على المصالح الملية والصوالح الطائفية ولا عيب فيه سوى اهتمامه برفع منار الطائفة واعلاء شانها عمل تقتضيه المروءة وتستلزمه الذمة ولكن اين من يتدبر ويتبصر وقد عميت الابصار وطمست البصائر ويا ليت افساد هولاء المفسدين كان قاصرا على السعي في احباط اعمال المجلس واثباط عزائم رجال التوفيق والاصلاح بل قد تطاولوا تطاولا زائدا وحادوا عن جادة الصواب والاعتدال جدا اذ قاموا ينادون بعدم لزوم الوعظ في الكنائس كما انبات الجرائد المحلية وكما جاء ذلك مفصلا في رسالة « البراهين القوية » التي اصدرتها جمعية التوفيق الاسيوطية اذ لما راى اخواننا الاقباط الاسيوطيين (وما ادراك من هم) هذا الامر المعيب المشين قاموا جميعاً ينادون برفض هذا الاقتراح الذميم المشوم ويشددون النكير على من ارتأى هذا الراي الوخيم النتائج فتليت الخطابات الطنانة الرنانة ونشرت النشرات العديدة المفيدة التي ادهشت بحسن رقتها ودقتها العقول ونخص بالذكر منها رسالة الجمعية الاسيوطية التي المعنا عنها فانها اكدت القول وايدت الموضوع بالبراهين العقلية والنقلية التي اسكتت الخصم ووضعت في فم المعارض حجرا ضخماً حتى جعلتكم ايكم اصم غارقاً في بحر الوهم الخضم

فانظر وتامل ايها القارىء النبيل الى هاتيك الاعمال ثم

احكم بما يتراءى لك فان الله تعالى لايحب الافك ولا يرضى بالضلال . ومما يدل على خبث نية هولاء المفسدين ايضاً تحرير القرار الاكليريكي الشهير الذي اتت جمعية التوفيق المركزية الموقرة على دحض ونقض ما انطوى واحتوى عليه من الاراجيف والتمويهات والترهات والتلفيقات في رسالتها (دفع الوهم عن بسيط الفهم) ومن الغريب ان هذا القرار قد عمل عقب ارجاع غبطة البطريرك من الابعاد فكان باكورة اصلاحاته ونفحاته التي عمت وشملت ابناء طائفته صغيرهم وكبيرهم خطيرهم وحقيرهم (فانظر وتامل) . وبعد مضي امد ليس بمديد صدر الامر العالي الناطق باعادة السلطة الادارية اليه التي كانت قد نزعت من غبطته عدلا وانصافا ولا تسل عما اظهره حزبه يومئذ من التظاهرات الصبيانية . والاجراآت التغفلية . على ان نص الامر الكريم يدل دلاله صريحة واضحة على ارجاع تلك السلطة اليه بشرط تعيين اربعة من ابناء الطائفة لمشاركته في تلك الاشغال الادارية موقتاً لحين تجديد الانتخاب وهذه كما لايخفى على كل من لم يكن مصاباً بمرض الغرض او القى السمع وكان شهيدا هي بعينها غاية وبغية رجال التوفيق والاصلاح فاطبة وهو وجود المجلس الملي على كل حال ان عاجلا او اجلا وها هي لم تزل عاملة على انجاز هذا التجديد المنتظر الذي ترجو وتومل ان يكون قريباً ان شاء الله تعالى

رغايب الحزب التوفيقي ومآرب الحزب الاكليريكي

لقد المعنا في الفصل السابق عند سياق الكلام على تاريخ نشاة النهضة الثالثة ان الذين قاموا بها وكانوا سببا في اضرام نارها التي تاججت وعلا سعيرها هم بعض نوابغ الامة ونخبة الطائفة الذين دفعتهم عوامل الغيرة واستفزتهم بواعث المروءة فالتاموا معاً واتحدوا جميعاً لاتمام هذا العمل الجليل والمشروع الرفيع الخطير وقد استصوبوا حبذا في نشر مباديهم وتوجيه افكار الجمهور اليهم ان يطلقوا على انفسهم اسم (جمعية التوفيق) الاسم الذي انتقوه دون غيره تفاولا به وتيمنا باسم الحضرة الخديوية التوفيقية « لان الجمعية قد تاسست في عهد سمو الخديوي الافخم توفيق باشا) الذي رات الجمعية من سموه (رحمه الله)من تمام الرضى عن مشروعها ماحدا باعضائها الى اطلاق هذا الاسم الكريم والقاب الشريف عليها

اما الباعث الحقيقي والغرض الاصلي من تاسيس هذه الجمعية الاصلاحية الخيرية التي ظهرت بدين ظهرانينا وانتشرت في سائر انحاء وارجاء قطرنا واشتهرت في جميع اصقاع وبقاع بلادنا فهو اصلاح شوون الطائفة القبطية والسعي فيما يعود عليها بالنفع العميم والخير الجسيم . هذا ولقد رات الجمعية بعد

طول الاستقراء والاستقصاء وزيادة التنقيب والتنقير ان اهم اللوازم المفتقرة اليها الطائفة والمضطرة الى اصلاحها كل الاضطرار منحصرة في ستة امور لاسابع لها على الصحيح وهي (١) تنظيم المدارس (٢) اصلاح الكنائس (٣) تنوير الاكليروس (٤) احياء اللغة (٥) افتقاد الفقراء (٦) محو بعض العوايد القبطية السمجه القبيحه التي تمجها الاسماع السليمة وتاباها النفوس الابية .

ولقد ظهرت نفحات اتعاب الجمعية وثمرات مساعيها في اصلاح اوجه الخلل الموجودة في جل هذه السنة امور ان لم اقل كلها كيف لا وهي هي اول من وجه الانظار ونبه الافكار الى مدارسنا القبطية والنظر في امر اصلاحها وتنظيمها وقد حصل ذلك فعلا فاوتى لها باساتذة جهابذة ذوي المام تام فظهرت نجابة الطلبة واكتسبت المدرسة سمعة كريمة وشهرة عظيمة وفخرا كبيرا . وهي هي اول من رفع صوته في الملاء صارخة ومنادية بتاخر اكليروسنا وطالبة وجوب تنويرهم وتهذيبهم فلم يسمع لندايها بادىء بدء ولكن لم تلبث الطائفة ان شعرت بلزوم ذلك وها قد سمعنا بانشاء المدرسة الاكليريكية التي نرجوا لها ومنها نجاحاً تاماً واصلاحاً مهما وهي هي اول من قامت تنوب وتناضل عن حقوق اخواننا الفقراء الذين اناخ عليهم الدهر فجعلهم هدفاً لنباله الشديدة الوطيئة وهي هي التي قالت بلزوم الوعظ في الكنائس ولو

اسبوعياً على ارقى وهي هي التي نهضت اخيرا وطلبت تشكيل المجلس وقد تم ذلك كله فعلاً الى غير ذلك من الاصلاحات والنفحات الحميدة . والثمرات العديدة المفيدة التي يحول دون سردها وتعدادها برمتها ضيق نطاق هذا الكتاب الصغير . هذه هي رغائب جماعة التوفيق التي شرعوا في انجازها وسيقومون باداء واجراء اعظم منها في المستقبل ان شاء الله تعالى اما الآن وقد علمنا تلك الرغائب ووعيناها فيجمل بنا اذا ان نميط النقاب عن مآرب الحزب الاكليريكي الواقف لها بالمرصاد كحجر عثرة في طريق تقدمها حتى يتضح للقارىء ما انطوت عليه ضمائر اصحاب هذا الحزب من النوايا الخبيثة والمآرب السيئة فنقول

١ لا ريب انه من كان حر الفكر منزها عن الغرض يحكم لدي اول وهلة بان هولاء القوم الذين تصدوا المعارضة نصراء لاصلاح واحياء الخير لابد وان يكونوا من طبقه الجهلاء الذين لم يتثقفوا و يتنوروا فكانت معارضتهم ومقاومتهم ناشئة عن جهلهم بمزايا وفوائد هذا الاصلاح او انهم ربما كانوا يعرفون تلك المزايا والفوائد ولكنهم يتجاهلون معرفتها لغاية في النفس يرومون قضاها . وهذا القول ينطبق كل الانطباق على حضرات اخواننا المعارضين . اما القسم الاول يعني الذين يجهلون مزايا هذا الاصلاح وفوائده فهم كثيرون ولكنهم من الطبقه السفلى الذين لا يعتد بهم ولا يعول عليهم ولا يركن في اي امر اليهم

واما القسم الثاني يعني الذين يعرفون ماسينجم عن هذا الاصلاح من الفوائد الجمة والمزايا المهمة ولكنهم يتجاهلونها لغرض في النفس فآرائهم مختلفة ونواياهم متنوعة باختلاف احوالهم ومراكزهم فمنهم من هم من اقارب غبطة البطريرك فتدعوهم دواعي القرابة لموافقته ومصادقته على كل عمل يبدو منهُ ظاهرياً ولو كانوا لا يستصوبونهُ باطنياً ومنهم من هم تحت ادارتهِ وسلطتهِ كبعض مستخدمي المدارس القبطية الذين تلجئهم حالتهم المعاشية ان يذعنوا لاوامره ونواهيهِ ومنهم من كانوا من الاكليروس وهولاء فضلا عن جهلهم وتغفلهم فان شؤون مراكزهم الكهنوتية تضطرهم للاذعان والرضوخ والطاعة العمياء ومنهم من كانوا ينتفعون من بقاء الحالة على ما هي عليهِ لئلا ينفضح امرهم و ينكشف سر مكرهم وخداعهم فيقعون في شر اعمالهم ومنهم من اعمت الرشوة ابصارهم و بصائرهم واخذ رونق الدرهم الوضاح والذهب الرنان بمجامع البابهم وقلوبهم فاصبحوا اسراء احسان وكرم غبطة البطريرك الحالي وصاروا ينادون بلسانهِ و يدافعون عن مصالحهِ على اننا لو سالنا ضمائرهم لقالت بعكس ما يقولون و يندرج تحت هذا النوع الاخير بعض اصحاب الجرائد المحلية ونخص منهم بالذكر حضرة النقي المتدين صاحب جريدة الوطن الذي سدات الرشوة على بصر بصيرتهِ برفع التعصب فقام يجاهر بالعدوان ضد حضرات المصلحين الافاضل واني اذكر هنا على سبيل الفكاهة نادرة

جرت بيني و بينه جاءت شاهد عدل على صحة ما نقول الا وهي اني كنت كتبت بجريدة المقطم الاغر سوالا بسيطا تحت عنوان «سوال ذو بال» طلبت فيه من الذين يعنيهم امر الاصلاح ان يجاوبوني عن «ماهي المطبعة المقصودة بالذات من المادة (٨) من لايحة المجلس المالى فجاء جواب سوالى في العدد التالى ومودداه ان المطبعة المذكورة هي المطبعة التي هي تحت يد صاحب الوطن يطبع بها جريدته مجانا . . . . وقد وهبها له غبطة البطريرك (حفظه الله) على سبيل المكافئة لقيامه بخدمته خير قيام فهال هذا الامر او بالحري كشف هذا السر المستتر صاحبنا صاحب جريدة الوطن فانقلب علىّ بالهجو والقدح الذي كان برهانا اخرا على صحة هذا الامر فالجاتني الضرور (والضرورة احكام) ان ارسلت الى جريدة المقطم رسالة اعربت فيها عن زياده ارتياحي من الوقوف على هذه المسالة وشكرت همة من اطلعني على حقيقتها واستطردت القول الى الرد على كلام صاحب الوطن (هداه الله) ولكن لسوء حظي لم تدرج رسالتي بالمقطم لاسباب لست والله اعلمها وها انى الخصها لحضرات القراء النبلاء وهي بنصها

حضرات اصحاب جريدة المقطم الافاضل

ابعث اليكم برسالتي هذه وانا اعلم علم اليقين بان جريدتكم ارفع شانا واسمى مقاما من ان تكون محطا لرحال الطعن والتنديد شان جريدة عربية ساقطة الاعتبار تدعى جريدة

الوطن التي امتهنها كبار القوم واستهجنها صغارهم اذ اضحت ولا ديدن لها الا السب والشتم والقدح والهجو ولا هم لمحررها الا اختلاق الاراجيف والتمويهات . وكانى بها قد الت على نفسها ان لاترتدع عن غيها وتعدل عن منهجها الذميم الوخيم ولكن لاغرو ولا عجب فهي هي الرشوة تعمي الابصار والبصائر وقانا الله من شر كل منافق ومكابر مهاتر .

هذا ولقد كنت انتظر بفروغ صبر عند ما كتبت سوالى الاخير بجريدتكم ان يقال لى ان صاحب جريدة الوطن يدفع اجرة مقررة على طبع جريدته بالمطبعة الاهلية للبطريكخانة القبطية او غير ذلك من الاعذار التي ربما كنا قابلناها بالقبول ولكن يابى الله الا ان يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فقد انبانى في اليوم الثاني احدا افاضل الامة الذين يغارون على نصرة الحق ويقررون الوقائع على علاتها غير خاشين في تقريرها وتشهرها لومة لايم (او قدح منافق سفيه) ان غبطة البطريرك قد سلمها او بالحري اهداها لحضرة ابراهيم افندي الذي وهبها لصاحب الوطن ولا يبعد ان نسمع يوما ما ان صاحب الوطن يجاهر على رووس الملا بان هذه المطبعة من ضمن ممتلكاته الخصوصية وما ذلك وايم الحق على مثله ببعيد . واني وشرف الانسانية اعجب غاية العجب من ذلك اذ كيف يصوغ لغبطة البطريرك ان يسلم اموالنا واوقافنا لرجل ليس هو من طائفتنا ولا هو على شاكلتنا

فضلا عن كفره بنعمتنا وجحوده لجميلنا فهل يوجد بعد ذلك
دليل اقوى من هذا على تصرف اولئك القوم في اوقافنا
تصرفا مطلقا يبددون فيها كيفما شاءوا ولا حساب هناك ولا
عتاب فحتام حتام لانسعى في لم شعث اوقافنا التي تبدد اغلبها
ايدي سبا . الا قاتل الله الجهل والطمع فانهما ولا شك
سبب هذا الوبال الوبيل وهل بعد ذلك يجوز لنا ان نقول
ان ليس للمجلس الملى فائدة او ان وجوده ان هو الا بدعة
من البدع او ندعى « بغير تبصر وتدبر » انه مخالف للدين
والقوانين الكنائسية الا نخشى من الله الا نخجل من الحق الا
نستحي من الناس الا تبكيتنا ضمائرنا مع ان المجلس لو
كان موجودا او متنبها لاعماله لما حصل مثل هذا النهب
والسلب الذي ليس له في عالم الوجود مثيل فالمجلس المجلس
يا ابناء الطائفة القبطية لاتقدم لنا الا بالمجلس ولا ترقي املتنا
الا بالمجلس ولا اصلاح لحالتنا الا بالمجلس ولا حفظ لامرالنا
واوقافنا الا بالمجلس ولاتنظيم لكنائسنا ومدارسنا الا بالمجلس ولا
ولا تنوير لا كليروسنا الا بالمجلس ومن انكر علينا ذلك
فليأتنا ببرهانه ان كان من الصادقين والا فليصمت ويكف
عن الادعاء بالباطل فقد ظهر الحق لذي عينين وهيهات ان تجد
لاخفاء نور الحق الساطع سبيلا . هذا ولا يسعى هنا الا ان اختم
عجالتي هذه بابداء مزيد التعجب من تصرف جريدة الوطن
وملازمتها لجادة القباحة والوقاحة التي لم يعهد لها نظير ولا

غرو « فكل اناء بالذي فيه ينضح » وكل شجرة لاتثمر الا ما عندها فلا نجني من الحسك عنباً ولا من الشوك تيناً ولكن ليعلم صاحب الوطن ومن كان على شاكلته من الذين باعوا ذمتهم بدراهم معدودة اننا لانكف عن مطالبتنا بحقوقنا مادام دمنا يجري في عروقنا وها نحن واقفون له بالمرصاد نشهر ونفند تمويهاته واختلاقاته وننادي بها على رووس الاشهاد في كل صقع وناد والا فليصمت ويلازم جادة الحيادة فان نخوتنا تابى الا اظهار نفاق المنافقين والامر الذي هو من الغرابة بمكان ان المشهور عن اخواننا الامريكان انهم قوم اتصفوا بكريم الشيم وجميل الشمايل فكيف يرضون ان يقبلوا بين اعضاء كنيستهم رجلا هذه صفاته وتصرفاته العلهم هم ايضاً غير راضون عن اعماله واذا كان ذلك كذلك ولا نخاله الا كذلك فاناشدكم الله ماذا ينتظر من رجل كرهته الاقارب ولم ترض عنه الاباعد ومقته القريب والغريب ليحكم العادلون ولينصف المنصفون

فهذه هي مآرب الحزب الاكليريكي الخبيثة ورغائب الحزب التوفيقي الحميدة لخصتها لحضرات السادة القراء ولست اخالهم يجهلونها ولكن عسى ان يكون في الاعادة افادة وها قد علم الكل البون الشاسع بين هذه الرغائب وتلك المارب اذ شتان بين المخلص المحب لخير طائفته والمغرض الذي لايهمه الاقضاء بغيته ومصلحته فهيهات هيهات ان يبلغ الضالع شاوه الظليع او تحاكي الثريا الثريا

حالة الاقباط الحالية الراهنة

ان الاقباط المنتشرين في سائر انحاء المعمورة وارجاء المسكونة

ينقسمون الى قسمين عظيمين وهما الاقباط الارثذكسيون الاصليون والاقباط الباباويون ويقال لهم ايضاً التبع نسبة الى اتباعهم للكنيسة الغربية وانتمائهم اليها هذا ولما كان الاقباط الارثذكسيون هم المقصودون بالذات في هذا الكتاب فقد جعلنا موضوع الكلام قاصراً عليهم فنقول

ان الاقباط الارثذكسيون ينقسمون ايضاً على حدتهم الى قسمين عظيمين وهما الشعب والاكليروس والمقصود بلفظه اكليروس جماعة الكهنه المترشحين لخدمة الدين ليس الا . ولقد انبا التاريخ بان هذا الاكليروس كان فيما سلف على جانب عظيم من التنور والتثقف ولا سيما من كانوا من قاطني الاديرة منهم حتى لقد قيل ان تلك الاديرة كانت محط رحال الفلسفة وقطب دائرة الحكمة ولعمري ان ما نراه بين ظهرانيتا من مولفات هولاء الرهبان المفيدة ومصنفاتهم العديدة لادل دليل على صحة ذلك ولكن ابى العلم الا ان ينأى عن ديارهم ويهاجر ربوعهم ثانيا فاصبحوا وانت لا ترى فيهم الا اجلافا واوغادا لا يعرفون للعلم اسما ولا رسما وبالاجمال فانه لو علم ابائنا الرهبان السابقون ما ستوول اليه حالة اخوانهم اللاحقين لتبروا منهم سلفا اما الشعب فهو في درجة من التقدم والتعلم تضارع غيرها من درجات الامم المتقدمين المتمدنين وقد ابتدا تاريخ نهضتهم العلمية مع اخوانهم المسلمين في عهد ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا جد العائلة الخديوية

الفخيمة حتى لقد حاز الكثير منهم الشهادات العليا الناطقة بتمام تقدمهم وسمو مداركهم ولذا انتدبتهم الحكومة السنية في اعظم المناصب العالية والمراكز الخطيرة فمنهم رب السياسة والكياسة ورجل الحزم والعزم سعادة بطرس باشا غالى ناظر المالية المصرية واحد وزراء مصر الكرام ورجالها العظام وفيهم من رجال القضاء المتشرعين المتضلعين سعادة امين بك غالى وميخائيل بك شاروبيم و بطرس بك يوسف وحنا بك نصر الله وتادرس بك ابراهيم ويوسف بك سليمان وعبد المسيح بك سميكه ورزق الله افندي سميكه وعبد الله افندي سميكه وغيرهم وفيهم من جهابذة المولفين والمصنفين ورجال الكتابة والخطابة والشبان النجباء الادباء حضرة تادرس بك وهبي وجندي افندي ابراهيم وجرجس افندي ذكي وقوسه افندي جرجس و يسى افندي ابراهيم وجندي افندى عوض واسحق افندي عطيه ومرقس افندي جرجس وعطية افندي جرجس واسكندر افندي قزمان ودانيال افندي باشا و بطرس افندي حنا الاسيوطي وغيرهم وفيهم من المحامين البارعين المشهورين عزتلو خليل بك ابراهيم واسكندر افندي ابرهيم واخنوخ افندي فانوس الاسيوطي وتخله افندي خليل المنياوي وغيرهم وفيهم من الاطباء الماهرين حضرة ابراهيم افندي منصور وابراهيم افندي فهمي ومراد افندي ايوب ونجيب افندى مفتاح وغيرهم وفيهم من الرياضيين البارعين حضرة فوزى افندي حنا وجرجس افندي فيلثاوس و يوسف افندى صبرى

وميخائيل افندي عفت وغيرهم وهم من الوجهاء واعيان الذين تعقد عليهم الخناصر و يشار اليهم باطراف البنان مما لم يسعنا ذكرهم هذا ولم تظهر نفحات الاقباط فقط في هذا الزمن الذى بزغت فيه شموس العدالة والحرية بل قد ظهرت براعتهم وجدارتهم حتى في زمن الاستبداد كايام المماليك المتمردين وغيرهم ولو اتينا على ذكر اسماء هولاء الذين اشتهروا وحازوا اعظم المناصب لضاق بنا المجال وهذا دليل كبير على ما للطائفة القبطية من الاستعداد الطبيعي لادراك العلى

" اعياد الاقباط واصوامهم "

اعياد الاقباط المشهور منها عيد الميلاد وهو تذكار ولادة السيد المخلص له المجد وعيد الفصح او العيد الكبير و يقال له (شم النسيم) يحتفلون فيه بقيامة السيد له المجد من القبر وانتصاره على سلطان الموت وعيد الصعود يحتفلون فيه بصعود السيد له المجد الى اعالى العلا محفوفاً بالعظمة والابهة بعد مضي اربعين يوماً من قيامته المجيدة وعيد النيروز يحتفلون فيه براس السنة القبطية وجملة اعياد اخرى كثيرة لكنها ليست كلها بشهيرة اما اصوامهم فاشهرها الصوم الكبير والصوم الصغير وصوم العذراء وصوم يونان وغيرها

"مدارسهم وكنائسهم"

وللاقباط كنائس كثيرة اشهرها كنيسة المرقسية الكبرى وكنيسة المجاله وكنيسة حارة زويله وكنيسة حارة السقايين وكنيسة المعلقة وكنيسة حارة الروم وكنيسة الامير تادرس

وكنيسة الدير البحري وكنيسة الدير القبلي وكنيسة ابي سيفين وغيرها وكذا كنائس اخرى بجهات الارياف

ولهم من المدارس المدرسة القبطية الكبرى ومدرسة الاقتصاد ومدرسة الآداب ومدرسة المناقع العملية والمدرسة الوطنية ومدرسة الاداب العلمية ومدرسة حارة السقايين ومدرسة اسكندرية القبطية ومدرسة المنيا وطنطا وميت غمر ومدارس اخرى كثيرة منتشرة في اغلب جهات الوجهِ القبلي والبحري

"جمعياتهم وجرائدهم"

وللاقباط ايضاً جملة جمعيات شهيرة اهمها جمعية التوفيق وفروعها وجمعية الاقتصاد القبطية موسسة مدرسة الاقتصاد وجمعية المساعي الخيريهُ وجمعية حفظ التاريخ القبطي الاسيوطية وجمعية الاتحاد الخيري وغيرها

ولهم من الجرايد جريدة مرقى النجاح والفرائد والراوي والعلم المصري ورياض التوفيق وجريدة التوفيق التي ستظهر قريباً ان شاء الله تعالى

"تنبيه"

قد وقع في هذا الكتاب من الغلطات السهوية والطبعية ما لا يخفى على ذوي الالباب ولذا اكتفينا بالتسميح عنها دون التصريح بها وعلى كل حال فالكمال لله وحده

من قال لا اغلط في امر جرى فهذه اول غلطة ترى

D

#105146199

Author 'A

Title

B1CQ

4/1/75